
Princeton University Library
32101 072566605

PRINCETON UNIVERSITY PRESENTS

THE HELENA WOOLWORTH McCANN

MEMORIAL ORGAN RECITAL

Carl Weinrich

PROGRAM OF COMPOSITIONS BY J. S. BACH

Toccata and Fugue in F Major (S 540)

Passacaglia and Fugue in C Minor (S 582)

Fifth Sonata in C Major (S 529)

Allegro—Largo—Allegro

Prelude and Fugue in G Major (S 541)

PRINCETON UNIVERSITY CHAPEL

SUNDAY, JANUARY 16, 1966

3:30 P.M.

المدرسة الشرابية

أو

"القصر العباسي" في قلعة بغداد

تأليف

ناجي معروف

أستاذ التاريخ الاسلامي

ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب

بجامعة بغداد

الطبعة الاولى - ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م

بغداد - مطبعة العاني

Ma'rūf, Nājī

al-Madrasah al-Sharābīyah

المدرسة الشرابية

أو

"القصر العباسي" في قلعة بغداد

تاليف

ناجي معروف

أستاذ التاريخ الاسلامي

ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب

بجامعة بغداد

الطبعة الاولى ـ ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م

بغداد ـ مطبعة العاني

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد حفلت بغداد منذ منتصف القرن الخامس الهجرى ، بعدد كبير من المعاهد العلمية الكبرى القائمة بذاتها والمستقلة عن الجوامع ، بلغ عددها فى سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) عندما زار ابن جبير بغداد « ثلاثين » مدرسة كلها فى الجانب الشرقى منها . وازداد عددها بعد ذلك حتى بلغ « ٣٨ » مدرسة عندما سقطت بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وذلك ما عدا دور القرآن ، ودور الحديث ، وحلقات المساجد ، وأماكن الدراسة الاخرى .

وقد ظل أكثر هذه المدارس قائما فى عهد المغول حتى أيام تيمورلنك الذى غزا بغداد مرتين فى سنة ٧٩٥هـ و٨٠٣هـ ، ودمرها تدميرا شديدا فاق التخريب الذى حل بها على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ . وقد أصاب هذا التخريب كثيرا من مدارس بغداد ، ومكتباتها الشهيرة ، ولم يبق ماثلا من مدارسها القديمة ببغداد اليوم الا :

١ ـ المدرسة المستنصرية التى استمر فيها التدريس أربعة قرون من سنة ٦٣١هـ حتى القرن الحادى عشر الهجرى .

٢ ـ المدرسة المرجانية التى فتحت سنة ٧٥٨هـ (١٣٥٦م) وقد حولت الى جامع تقام فيه صلاة الجمعة والعيدين ، يتبعه مدرسة صغيرة تتولى شؤونها مديرية الاوقاف . وقد هدمت المدرسة ، والجامع سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) لتعديل شارع الرشيد ، ما عدا باب المدرسة الرئيس المزين بالزخارف ، والكتابات الآجرية ، من جهتى الشارع والرحبة من عهد « أمين الدين مرجان » . ونقل المصلى بكتاباته ، وجزء من زخارفه الآجرية الرائعة ، الى مكان صحنها ، وايوانها القديمين .

٣ ـ بناية فخمة فى « قلعة بغداد » نرى انها « المدرسة الشرابية » وهى « المدرسة الشرفية » أو « الاقبالية » نسبة الى مقدم الجيوش ابى الفضائل « شرف الدين ، اقبال الشرابى » الامير الذى عاش فى خلافة المستنصر والمستعصم وتوفى فى سنة ٦٥٣هـ . وقد شرع بالتدريس فيها سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) . ولم يبلغنا متى انقطعت الدراسة فيها . وجل

ما وصلنا عنها خبران يتعلقان بدار الكتب التي كانت فيها • الاول : عن كتاب عنوانه « اختيارات الاوقاف الزمانية للاعمال الكلية »[1] ألفه « على بن عمادالدين » لهذه المكتبة فى عهد الشرابى • والثانى : ما ذكره ابن الفوطى الذى عاش الى سنة ٧٢٣هـ ، عن خازنها المعروف بابن الماوردى ، الواسطى الذى كان على صلة به •

وكان المرحوم البحاثة يعقوب سركيس المتوفى سنة ١٩٦٠ يظن انها دار المسناة التى بناها الخليفة الناصر لدين الله العباسى ، واتخذها قصرا له • وقد ايده فى ذلك زميلنا المحقق الدكتور مصطفى جواد • وقد اثبتنا فى هذا البحث الذى نضعه بين ايدى القراء والباحثين انها كانت « مدرسة » ولم تكن « قصرا » ولا « دارا » ببراهين علمية ، وفنية لا تدع مجالا للشك فى انها كانت احدى المدارس البغدادية فى أواخر العصر العباسى فى القرن السابع الهجرى •

وقد اجتهدنا بعد ذلك على ضوء معارفنا عن مدارس بغداد منذ سنة ٤٥٩هـ حتى سنة ٦٥٦هـ وما بعدها ان نعين اسم هذه المدرسة فاسترجحنا انها « المدرسة الشرابية » ، أو الشرفية » التى انشأها اقبال الشرابى واحتفل بافتتاحها سنة ٦٢٨هـ احتفالا فخما •

وقد اختلفت آراء المؤرخين الذين كتبوا عن موقع هذه المدرسة • غير أن أكثر هؤلاء المؤرخين ، يشيرون الى أنها بنيت فى « سوق السلطان » • فقد جاء فى كتاب الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ انها بنيت فى « سوق السلطان » وذكر ابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩هـ انها بنيت فى « سوق السلطان » أيضا • ولابد أن نشير فى الوقت نفسه الى ان النعيمى المتوفى سنة ٩٢٧هـ وهو مؤرخ دمشقى نقل عن ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ وهو مؤرخ دمشقى أيضا وكلاهما بعيد عن بغداد — انها بنيت

---

(١) والكتاب من مخطوطات السيد عثمان فوزى اولجاى التركى فى استنبول عرضه للبيع على مديرية الآثار العراقية العامة • وقد ذكر لى الاستاذ كوركيس عواد أمين مكتبتها ان النسخة قديمة وفريدة ، وانها تبحث فى علم الفلك ، وفيها تصاوير وأشكال فلكية عديدة وهى مجدولة مع تزويق وتذهيب •

« بسوق العجم من بغداد » . وجاء في محل آخر من الحوادث الجامعة انها بنيت « بسوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين » .

ولئن اختلف ابن العماد الحنبلي وابن كثير في موقع الشرابية فسماه الاول منهما « سوق السلطان » وسماه الثاني « سوق العجم » فان ما ورد في الحوادث الجامعة في مكانين منه هو نفس الاختلاف السابق الذي يشير الى موقعها في « سوق العجم » مرة وفي « سوق السلطان » أخرى .

ان اقدم هذه المعلومات واوثقها ما ذكره مؤرخ بغدادي ثقة هو ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ الذي يحتمل جدا انه رأى هذه المدرسة بعد عودته الى بغداد سنة ٦٧٩هـ فذكرها في كتابه « تلخيص مجمع الآداب »[١] حين ذكر خازن كتبها مجدالدين ابا الحسن علي بن أحمد بن هبة الله ، المعروف بابن الماوردي ، الواسطي ، الفقيه ، الخازن . وكان ابن الفوطي قد سمع عليه ، وكتب منه . وذكر انه « كان خازن الكتب بالمدرسة الشرفية بخان زياد[٢] من سوق السلطان » .

ولما كانت « سوق السلطان » فيما ذكره ابن النجار قريبة من دجلة ، وقريبة من عقد سور « سوق السلطان » [باب المعظم] كما جاء في الحوادث الجامعة ، فان « محلة سوق السلطان » هي « محلة الميدان » وهي التي بنى الناصر في طرف منها « جامع سوق السلطان » أي « جامع الميدان » الذي

(١) ج ٥ ص ١٨٢ الترجمة ٣٦٧ ونصها « مجدالدين أبو الحسن علي بن أحمد بن هبة الله يعرف بابن الماوردي الواسطي ، الفقيه ، الخازن ، كان فقيها فاضلا سافر في صباه الى خراسان ، وما وراء النهر ، وسمع ببخارا من الفقيه العالم جمال‌الدين المعروف بكوي خرذمندان ، واستوطن بغداد ، وكان خازن الكتب بالمدرسة الشرفية بخان زياد من « سوق السلطان » ، سمعت عليه ، وكتبت منه ونعم الشيخ كان » .

(٢) وقد ورد اسم « خان ابي زياد » في أوائل القرن الرابع الهجري في أسفل محلة « المخرم » حيث تقع « الشرابية » وذلك في ترجمة علي بن اسحق المخرمي (الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٣٤٩) وفي ترجمة عثمان بن عبدالله من ذرية عثمان بن عفان (ر) (الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٢٨٣) .

يرجح ان يكون مكانه جامع « القلعة » الحالى . وفى الطرف الآخر من « محلة سوق السلطان » كانت « سوق العميد » المقابلة لجامع القلعة وعلى هذا تكون « المدرسة الشرابية » التى بنيت فى « سوق السلطان » هى البناية المعروفة اليوم بـ « القصر العباسى » التى فى « قلعة بغداد » . وبابها المفضي الى دجلة ، يشرع على درب الملاحين ، وهو الطريق الذى يسلكه الملاحون لسحب زوارقهم ، وسفنهم ، مصعدين فى دجلة عكس مجرى الماء[1] .

ومما يرجح الرأى الذى ذهبنا اليه ، أن أحدا من المؤرخين لم يذكر أن « الشرابية » بنيت ظاهر سور بغداد ، كما هى عادة المؤرخين عند ذكر الاماكن المهمة التى تقع خارج المدينة ، أو ظاهر البلد ، أو وراء السور ... الخ .

اننا نستبعد ألا يذكر المؤرخون عمارة كعمارة المدرسة الشرابية اذا كانت تقع خارج السور فى أثناء الاستعداد للحرب ببغداد سنة ٦٣٤هـ عندما حاصر المغول اربل ، ونصبت المناجيق على سور بغداد . وعندما أصلح خندقها ، وأمر المدرسون ، والفقهاء ، ومشايخ الربط ، والصوفية ، برمي النشاب والاستعداد للجهاد .[2] وألا يشيروا اليها فى أثناء خروج الامراء ، والعساكر الى ظاهر البلد سنة ٦٣٥هـ عندما انبثت عساكر المغول فى أعمال بغداد ، وعاثوا بها أشد العيث . وكان الشرابى هو الذى تصدى للمغول يومئذ[3] . مما يدل على انها كانت داخل سور بغداد الشرقية وليس خارجه كما ذهب الى ذلك الدكتور مصطفى جواد فى الخارطة التى رسمها لكتاب « الجامع المختصر » لابن الساعى .

لقد وضحنا هذه الرسالة بعدد من المخططات ، والصور التى تثبت ما ذهبنا اليه من آراء . ففى المخطط الثانى ثبتنا موقع « القصر العباسى »

---

(١) لاحظ المخطط المرقم (٢) .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٩٨ — ٩٩ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ — ١١٠ .

بالنسبة لجامع « القلعة » و « سوق الميدان » و « باب المعظم » التى هى على التوالى : « جامع سوق السلطان » و « سوق السلطان » و « باب السلطان » أو « باب سوق السلطان » . وقد استعنا بخرائط الطابو القديمة وخرائط أمانة العاصمة لبغداد الحالية لتوضيح هذه المواقع . وقد تبين لنا من دراسة موقع الشرابية وما جاورها من الاماكن ان « سوق السلطان » وهى « محلة الميدان » لا تبعد عن المدرسة أكثر من ١٥٠ مترا كما انها لا تبعد عن باب « سوق السلطان » أى « باب المعظم الحالى » أكثر من ٣٠٠ متر . وظهرت « المدرسة الشرابية » فى مخطط القلعة بجوار « جامع القلعة » الذى كان بمحله « جامع سوق السلطان » المذكور آنفا .

واجتهدنا ان نظهر فى المخططات ، والتصاوير الاخرى أوجه الشبه بين بنـــاية « القصر العباسى » وبين مدرستين معروفتين لا تزالان قائمتين ببغداد وهما : « المستنصرية » و « المرجانية » وقد ثبت لنا ان الشبه بين هذه المبانى الثلاثة يكاد يكون تاما فى المداخل ، وطراز الاواوين ، والاروقة ، والدهاليز ، والرداه الـكبرى وبيوت الطلبة . والافنيـــة والصحون ، والرحاب ، والمساجد ، والعقـــود ، والاقواس ، والـكوى ، وطـــراز التسقيف وحتى فى تفاصيل الزخرفة الآجرية فى الجدران ، والسقوف ، والابواب ، ممـــا يبرهن على ان المدارس كانت تتبع طرازا خاصـــا فى التخطيط ، وقواعد معينة فى البناء والزخرفة . ولاثبات هذه الآراء بصورة عملية ثبتنا فى هذه الرسالة مقاطع أفقية للابواب الثلاثة فى المدارس الثلاث المذكورة ، وهى تتشابه تشابها تاما فى طرازها ، وزخارفها ، ومقعراتها ، واعمدتها المزخرفة والعاطلة عن الزخرفة ، وكتاباتها ، وحتى فى سعتها ، وارتفاعاتها تقريبا . وقد رأينـــا ان نصور كلاً من دهليزى الشرابية ، والمستنصرية اللذين يبدوان متشابهين تشابها تاما . والمساجد الثلاثة تتشابه أيضا فى اسسها ، وفتحات أقواسها ، ولا تختلف الا فى حجومها . وذلك لاختلاف عدد أرباب كل وقف من هذه الوقوف الثلاثة ، الذين كانوا يؤدون فيها فريضة الصلاة . اما سعة الرداه ، وبيوت الطلبة فهى متقاربة جدا ، ولا تختلف الا فى عددها ، حيث كان عدد الطلاب ـ كما ذكرنا ـ

يختلف فى كل مدرسة من هذه المدارس لاختلاف شرط الواقف .

وقد اعتمدت فى تجهيز هذه الرسالة بالصور ، والمخططات ، والكلايش على كتابي « تاريخ علماء المستنصرية » وعلى مديرية الآثار العامة وعلى مهندسها الاستاذ السيد محمود العينهجي الذى اشكر له مساعداته القيمة شكرا جزيلا . والله ولى التوفيق .

المؤلف

ناجى معروف

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الاعظمية : شوال سنة ١٣٨٠هـ

نيسان سنة ١٩٦١م .

المدرسة الشرابية

أو

« القصر العباسي » في قلعة بغداد

الفصل الاول

براهين فنية تثبت أن « القصر العباسى »
مدرسة عباسية ، وليس قصرا ، ولا دارا

لم يعرف على وجه التحقيق ، الغرض الذى شيدت من أجله العمارة المعروفة اليوم بـ « القصر العباسى » فى قلعة وزارة الدفاع ببغداد • وكل ما ثبت للباحثين أن « القصر العباسى » المذكور بناية عباسية ، تدل آثارها الباقية على فخامتها ، وجمالها ، وروعة هندستها ، وزخرفتها • ولم يعرف مَنْ انشأها ، ولا التاريخ الذى انشئت فيه • لانه لم يتسن للعلماء ، والباحثين الوقوف على التفاصيل الضرورية التى تمكنهم من معرفة حقيقتها ، وماهيتها لندور المراجع التاريخية عن بغداد فى العصور المتأخرة •

وسنحاول فى هذا البحث ان نثبت بصورة قطعية ، انها كانت احدى مدارس بغداد فى أواخر الدولة العباسية • وأنها ليست قصراً من قصورها ، ولا داراً من دورها • أما اسمها واسم بانيها فاننا نسترجح أن تكون « المدرسة الشرابية » التى انشأها « اقبال الشرابى » احد كبار رجال المستنصر بالله العباسى • لكننا سوف لا نبت فى هذا الرأى ، ولا نقطع به • وسنترك للباحثين البحث فيه ، حين يتوافر عندهم ما يساعدهم على معرفة ذلك •

ان هذه البناية تقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية من قلعة وزارة

الدفاع الحالية ، يفصل بينها وبين بناية وزارة الدفاع الحديثة جامع القلعة الذى تشير وقفيته المؤرخة فى سنة ١٠٤٨هـ (١٦٤٨م) الى انه كان يقع فى محلة السكةخانة[١] والذى يرجح انه جامع سوق السلطان الذى بناه الناصر لدين الله العباسى كما سنذكره فى حينه .

وقد مرت هذه العمارة بأدوار مختلفة منذ أواخر أيام العباسيين حتى اليوم . ومما لاشك فيه أنها اتخذت معهدا علميا للتدريس ، ودار علم للكتب ، رَدَحا من الزمن ، وتقلبت بها الاحوال فى أيام المغول ، والتركمان ، ومن جاء بعدهم . ثم اتخذت فى العهد العثمانى لاغراض عسكرية ، وبذلك نسي الناس ما كانت عليه هذه البناية ، لاسيما وان الدخول الى « القلعة » المذكورة لم يكن سهلاً يومئذ باعتبارها مركزا عسكريا . وقد شيد العثمانيون بلصقها برجا كبيرا ولعل ذلك قد تم بعد شيوع استعمال المدافع ، والآلات النارية[٢] . كما اضيف اليه فى ذلك العهد أيضا مخازن ، وغرف ، وقبب عديدة . وقد أثرت هذه الاضافات على العمارة المذكورة فشوهت معالمها الى حد بعيد . وعندما عزمت مديرية الآثار العامة على دراسة هذا الاثر التاريخى الاسلامى القيم ، عمدت الى هدم جميع الاقسام المستحدثة ، عدا البرج العسكرى نظرا لانه كان مستقلا عن هذه العمارة ، ولم يشوه أو يغير شيئا من معالمها ، ولا تخطيطها أو هندستها . وكان من جملة ما هدمته مديرية الآثار العامة ، قبة كبيرة كانت على المدخل الرئيس لهذه البناية ، مما يلى جهة النهر . وقد هدمتها مع جدرانها التى كانت ترتكز عليها . وكان من نتائج هذا الهدم ظهور هذا المدخل الرئيس مما يلى دجلة ، وبذلك انجلى جانب مهم من ذلك الغموض الذى كان يكتنف هذا الاثر التاريخى الجليل ، حيث ظهر بوضوح كيفية الدخول الى هذه البناية ، والانتقال من « المجاز » أو « المابين » كما سمته

---

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ص : ٥ – م .
(٢) بقايا القصر العباسى ص : ٥ .

مديرية الآثار الى القاعات الكبرى ، أو الى الرواق الذى كان يحيط بالصحن ، ثم الوصول الى الايوان ، الذى يعتبر أروع أقسام هذه البناية ، والى بقية أجزائها الاخرى •

وقد عُنيت مديرية الآثار العامة بدراستها ، وترميمها وصيانتها على عهد مديرها السابق أستاذنا العلامة ساطع الحصرى سنة ١٩٣٤م • وقد تمكنت منذ ذلك الوقت ، بما بذلته من جهود مشكورة حتى اليوم ان تعيد أكثر أقسام هذه البناية الى أصلها الذى انشئت عليه أول مرة ، من حيث التخطيط ، والزخرفة • واتخذت منها متحفا للآثار العربية •

ولما لم يهتد حتى اليوم أحد من العلماء المحققين المعنيين بالآثار العربية ، الى معرفة حقيقة هذه البناية معرفة أكيدة ، فقد عزمتُ على دراستها دراسة فنية ، ومقارنتها بالمبانى الاثرية المشابهة لها فى العراق ، للوصول الى نتيجة حاسمة تقرر ماهيتها وحقيقتها •

وسأستعرض الآراء المختلفة ، التى توصل اليها الباحثون قبل أن ابدأ بتفصيل رأيي الذى نشرته مجملاً قبل ١٤ سنة فى مجلة التفيض •

لقد رأت مديرية الآثار القديمة فى نشرتها التى نشرتها عام ١٩٣٥م تحت عنوان « بقايا القصر العباسى فى قلعة بغداد » أنها كانت أحد القصور العباسية[1] • وكان المرحوم يعقوب سركيس يرى انها « دار المسناة » التى بناها الناصر لدين الله العباسى • وقد ذكر انه كان « أول من أبان ان اسم هذا البناء هو دار المسناة » فى مقال كتبه قبل ثلاثين سنة فى مجلة لغة العرب[2] وقد ذهب هذا المذهب زميلنا الدكتور مصطفى جواد ونشر عنها بحوثا ضافية كما سبق للاستاذ المهندس « هنرى فيوليه » الفرنسى الذى استقدمه ناظم باشا والي بغداد سنة ١٩١٠م لتجميل بغداد وتنظيم هندستها ان اشار فى بحثه عن الريازة الاسلامية الى زخارف « القصر العباسى » فظن

---

(١) بقايا القصر العباسى ص : ١ •

(٢) راجع مباحث عراقية ــ القسم الثانى ص ١ •

انها من الجبس وهو الـكلس « Stuc » [1] • وقد اثبتُ له عندما زرته باريس سنة ١٩٣٨م ان فى « القصر العباسى » وفى المدرستين : المستنصرية والمرجانية زخارف كلها من الآجر ، وهى محفورة بعناية بالغة ، ومنقوشة بنقوش زهرية أو هندسية بديعة • وذكرتُ له انها غير مصبوبة فى قوالب ، بل رسمت على الآجر المطبوخ أو المفخور بالنار ، ثم حفرت بعد ذلك ، وزينت بها جبهات العمائر ، وسقوفها • وقد ذكر هذه البناية استاذنا لويس ماسينيون المستشرق الفرنسى[2] • ونشر الجنرال دى بيليه De Beylié صورتين للايوان صورهما له المسيو فيوليه المذكور • وفى سنة ١٩٤٠ ناقشتُ المرحوم يوسف غنيمة مدير الآثار القديمة يومئذ وبعض موظفى مديرية الآثار مبيناً لهم ان البناية الموصوفة انْ هى الا مدرسة وليست قصراً ولا داراً • واسترجحت آنذاك ان تكون « المدرسة الشرابية » أو « الشرفية » التى اسسها شرف‌الدين اقبال الشرابى فى خلافة المستنصر • وقد مالوا الى الاخذ بهـذا الرأى • واشـاروا الى ذلك فى دليـل[3] « بناية المتحف الاسلامى أو القصر العباسى » • وعنـدما نشر الدكتـور مصطفى جـواد بحثـه المفصل الذى أكـد فيـه ان « القصـر العباسى » هو دار المسناة[4] كتبتُ على أثر ذلك بحثا مفصلا ، اثبتُ فيه ان « القصر العباسى » مدرسة عباسية ، وليس قصرا عباسيا ، ولا دار المسناة الناصرية • وأيدت هذا الرأى الجديد بالبراهين الفنية ، والادلة التاريخية • وعرضتُه على أستاذنا الدكتور ناجى الأصيل مدير الآثار العام اذ ذاك لنشره فى مجلة سومر ، فرحب بالبحث اشد الترحيب وأوعز بنشره غير أن البحث مع ذلك كله لم ينشر فى المجلة المذكورة • ولذلك آثرتُ نشر خلاصته فى

---

(1) L'architecture Musulmane du XIIIe Siècle en Irak. paris 1913.

(2) Mission en mesopotamie 1907-1908. m. Louis massignon VII. P:84.

(٣) راجع النشرة المذكورة ص : ١ ، المطبوعة سنة ١٩٤٣م •

(٤) مجلة سومر ج : ٢ من السنة الاولى ص : ٦١ ـ ١٠٥ •

مجلة التفيض التي كنت اشرف على تحريرها[1] • وقد ختمتُ ذلك البحث العلمي بقولي : « وبعدُ فهذا بحث موجز قائم على أساس من التاريخ والفن ، توخيت فيه معرفة حقيقة البناية العباسية التي في القلعة • وقد توصلتُ فيه الى رأي في هذه البناية المهمة اعرضه في جملة الآراء التي عرضت حتى الآن للأخذ به ، أو رده ، أو مناقشته حباً في الوصول الى معرفة حقيقة هذه العمارة » •

ولقد أجريتُ كثيرا من المناقشات مع المعنيين بمثل هذه الامور ، وبخاصة مع كبار موظفي مديرية الآثار العامة الذين كنت قد زاملتهم رَدَحاً من الزمن في المديرية المذكورة ، وفي أثناء التنقيبات التي اجريناها في سامراء ، وواسط بين سنتي ١٩٣٩م و ١٩٤١م • وقد وجدتهم جميعا مقتنعين برأيي هذا وبوجهة نظري في ان هذه البناية كانت مدرسة عباسية ، ولم يخامرهم شك في ذلك • وقد اخبرني السيد ناصر النقشبندي مدير المسكوكات والابحاث الاسلامية في مديرية الآثار العامة انه نشر بحثا في مجلة « أهل النفط » بعد بحثي المذكور آنفا بأكثر من عشر سنوات[2] أشار فيه أيضا الى أن هذه البناية « مدرسة » كما اشرتُ أنا الى ذلك • وفي سنة ١٩٤٨م نشر الاستاذ يعقوب سركيس كتابه « مباحث عراقية » وكان أول بحث فيه : « القصر العباسي ، دار المسناة » الذي كان منشورا في جريدة البلاد في ١١ أيلول سنة ١٩٣٥م • وقد اشار في الحاشية الى بحثي الذي نشرته في مجلة التفيض والى وجهة نظري في هذه البناية من أنها مدرسة ، وليست قصرا ولا دارا • ثم قال عن نفسه وبحثه عن القصر العباسي : ان الدكتور مصطفى جواد « يعترف بأن هذا الكشف لي » وقال أيضا « وكان الدكتور قد ايدني عدة مرار قبل كتابته في سومر » •

ان التحليلات الفنية والتاريخية التي ذكرتُها في مجلة التفيض آنفة الذكر لم تدع مجالا للشك ، في ان هذه البناية كانت مدرسة

---

(١) راجع العددين ٢٣ و٢٧ من السنة ١٩٤٦م •

(٢) راجع مجلة أهل النفط العدد (٧١) من سنة ١٩٥٧ ص ٣٦ •

عباسية ، ولم ينكر أحد من الناس دعواي هذه • وأود اليوم ان أزيد على ما ذكرته قبلا أمورا عدة كلها تثبت أن هذا « القصر العباسى » مدرسة عباسية وليس قصرا عباسيا كما ظنت مديرية الآثار العامة ، ولا دار المسناة الناصرية كما ذهب الى ذلك المرحوم الاستاذ يعقوب سركيس وأيده الدكتور مصطفى جواد • وسوف لا أكرر ما ذكرته فى مجلة التفيض من الملاحظات العديدة على بحث الدكتور مصطفى جواد الذى نشره فى مجلة سومر ، والذى بذل فيه جهده وافرغ فيه وسعه ليثبت الدعوى التى ادعاها المرحوم يعقوب سركيس ، وهى ان القصر العباسى هو دار المسناة التى بناها الناصر لدين‌الله ، لاننى فندت ذلك تفنيداً لا يترك مجالا للشك فى أن هذه البناية ليست قصرا ولا دارا وانما هى مدرسة عباسية(١) •

انا اذا استطعنا أن ننقض الآراء القائلة بأن هذه البناية كانت « قصرا » أو دار المسناة الناصرية » بالادلة الفنية وأخرجناها من‌عداد القصور والدور ، وجب علينا ان نبحث فى ما يمكن ان تكون • ولاشك عندنا فى انها كانت احدى مدارس بغداد الكبرى • ويتضح ذلك جلياً من اوجه الشبه بينها وبين مدرستين اخريين هما : المستنصرية ، والمرجانية اللتان نملك عنهما معلومات مفصلة ، تساعدنا الى حد بعيد على اثبات ما ذهبنا اليه ، باعتبار ان المرجانية ، بنيت على غرار النظامية ، وان المستنصرية بنيت لتنافس النظامية ، وان الشبه بين المستنصرية ، وبين بناية « القصر العباسى » قوى جدا مما يدل على ان هذه البناية مدرسة كالمستنصرية وكالمرجانية • ولذلك نذكر ان هذه المقارنة الفنية بينها وبين المدرستين المذكورتين ، ينبغى ان تكون فى

---

(١) مجلة التفيض ج ٢٣ ص ١١ — ١٧ و ج ٢٧ ص ٨١ — ٨٦ •
وراجع الحوادث الجامعة ص : ١١١ ، ١٣٢ ، ١٨٦ •

التشابه القوي فى الامور التالية :

١- فى المخططات . ٢- فى الابواب والمداخل . ٣- فى الساحات والصحون . ٤- فى الاواوين . ٥- فى المجازات والدهاليز والاروقة . ٦- فى القاعات الكبرى . ٧- فى القاعات التى زخرفت رتاجاتها . ٨- فى حجوم الحجر والغرف . ٩- فى الزخارف الآجرية . ١٠- في المساجد التى فى الضلع القبلية فى كل من هذه المبانى الثلاثة . ١١- فى طراز التسقيف وطراز الريازة .

لقد ثبت لمديرية الآثار العامة ، مما قامت به من التحريات فى أثناء التنقيب عن الاسس التى اندثرت من هذه البناية ، ان الاسس أصلية لم يظهر فيها أى أثر يدل على النقض . فآجر الاسس والجدران القائمة كلها من نوع واحد ، وحجم واحد ، ولم يظهر ما يدل على اضافة اسس أخرى . كما أنه ليس ثمة أسس ، أو جدران تتعارض مع الاسس القديمة ، كالذى وجدناه واضحا فى جامع الحجاج بواسط ، حيث انشئت ثلاثة جوامع فوق جامع الحجاج ، وفى غيره من المبانى التى كانت عرضة للنقض ، والبناء ، والتجديد ، والترميم . وفى هذا دلالة كافية على أنه لم يحدث عليها أى بناء آخر ، مما لا يخامرنا شك فى ان هذا المكان ليس « دار تتر »[١] التى نقضها الخليفة المقتفى لأمر الله العباسى سنة ٥٤٧هـ (١١٥٢م) ، والتى انشأ عليها الناصر لدين‌الله « دار المسناة » كما يذهب الى ذلك الزميل الدكتور « مصطفى جواد[٢] » وبعبارة أخرى ليست هذه العمارة « دار المسناة » التى انشأها الناصر لدين‌الله العباسى .

---

(١) هو احد امراء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى .

(٢) مجلة سومر . الجزء الثانى من السنة الاولى ص ٦١ ـ ١٠٥ .

ان عدد الحجرات ، والغرف فى الضلع الشرقية من هذه العمارة يبلغ ١٦ غرفة • ويحتمل انه كان يقابلها ١٨ غرفة ، فى طابقى الضلع الغربية كما هو واضح فى المخطط المرقم (١) • وقد نتج هذا التباين فى عدد غرف هتين الضلعين المتناظرتين بسبب اتخاذ طرفى الضلع الشرقية مجازين يتصلان بالرواق ، والدهليز • وليس الامر كذلك فى الضلع الغربية • وفى هذه البناية غرف صغيرة أخرى غير التى ذكرناها ، ولذلك يمكن ان يبلغ مجموع ما فى هذه البناية من حجر وغرف ، الاربعين ، ما عدا القاعات الكبرى ، والمنشآت الاخرى •

ان عرض الحجر والغرف بوجه عام لا يتجاوز ٣٢ سم ٢ متر (مترين واثنين وثلاثين سنتيمترا) وان طولها ٨٠ سم ٣ متر (ثلاثة أمتار وثمانون سنتمترا • واكثرها خال من الكوى ، والمشاكي • ولذلك يمكن أن نتساءل عن الاغراض التى انشئت من اجلها هذه الحجر ، والغرف التى تطل على ساحة واحدة ، أو صحن واحد ، وعلى أروقة مزخرفة ، هل كانت تتخذ لسكنى الخليفة ونسائه ؟ أو أن نساء الخليفة وجواريه كن يستقبلن سيدهن الخليفة فى هذه الغرف الضيقة ، البسيطة ، الخالية من كوى الاضاءة ، والتهوية ، أم أن الغرف الكبيرة التى كان يسكن فيهـا الخليفة الناصرلدين الله ، ونساؤه ، وحاشيته ، وأهل بيته قـد نقضت ، وبني مكانها هـذه الغرف الصغيرة • وللوصول الى الجواب الصحيح ينبغى علينا ان نبحث فى أمرين اثنين اولهما : هل هذه الغرف اصلية أم محدثة ؟ وثانيهما : هل يوجد مثل هـذه الغرف فى قصور الخلفـاء فى بغداد ، وسامراء ، اتخذت مساكن للخلفاء ، ونسائهم وجواريهم ، أم لا ؟

ان التحريات ، والتنقيبات التى اجرتها مديرية الآثار فى هذه البناية ، تدل على أن الغرف الصغيرة فى الطبقتين العليـا ، والسفلى ، والايوان ،

والمجازات ، والاروقة ، والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والمدخل ، والزخرفة على اختلافها هي من المباني الاصلية كما اسلفنا ، بنيت حين وضعت تصاميم هذه البناية ، وليست من المباني التي استحدثت بعد ذلك لاتصال الزخرفة ، وتناسق الدعائم ، والجدران ، وانسجام بقية المرافق الاخرى • ويهمنا في بحثنا هذا ان نثبت للقارىء ان الغرف الصغيرة المذكورة بنيت في أول الامر بهذا الحجم الصغير كغرف المستنصرية ، والمرجانية • واذا كانت غرف المستنصرية التي تكبرها شيئا قليلا قد اتخذت بيوتاً للطلاب فمن الاولى والاقرب الى الواقع ان تكون غرف « القصر العباسي » بيوتاً للطلاب أيضا • ولا بد ان نقرر أيضا ان هذه الغرف الصغيرة تختلف اختلافا كبيرا عن تلك الغرف الواسعة التي وجدناها في أثناء التنقيب في سامراء ، تلك الغرف المبلطة بالآجر المزجج ، أو القاشاني المعرّق ، المؤزرة بالرخام المفوّف ، المطعمة جدرانها بالفسيفساء ، المموهة سقوفها بماء الذهب ، المحلاة بشبابيك الزجاج ذي الالوان المختلفة ، المزينة بالمشاكي الجميلة من الجبس أو الجص •

اين هذه البناية المظنون انها قصر أو دار المسناة الناصرية ، من المباني الواسعة ، والقصور الفخمة في سامراء وواسط ، وبغداد • ان التنقيبات التي أجريناها في سامراء سنة ١٩٤١م في الموسم الخامس في دور العامة ، ودور القواد ، ودار الخلافة ، وقصور الخلفاء ، وابنائهم وامرائهم قد دلت على وجود حجر ، وغرف أوسع بكثير من الحجر والغرف التي اشتملت عليها البناية المدعوة خطأ بـ « القصر العباسي » بل اننا لم نجد تقريبا بين الغرف في دور السكنى على كثرتها غرفة واحدة عرضها كعرض هذه الغرف سواء كان ذلك في دار الخلافة في سامراء أو بيت « الامام » الواقع بلصق الضلع الجنوبية لجامع المتوكل المعروف بجامع « ابي دلف » اليوم ، أو في قصر « الحويصلات » • ولا في الاقسام التي بنيت على الطراز الحيري ذي الصدر

والكُمَّيْن(١) فى كثير من دور السكنى فى سامراء • ولا فى دور القواد والامراء التى بنيت على جانبى الشارع الاعظم الذى كان عرضه مئة متر ، فالغرف فيها مزخرفة وواسعة كأنها القاعات الفسيحة • وقد وجدنا فى أثناء التنقيبات فى احد دور الشارع الاعظم بهواً فخماً يتكون من ٥ حجرات × ٥ حجرات أكثرها مزخرف ، تنفتح على بعضها ، وتكون منظرا خلابا • اما فى بيت الخليفة ، وقصر المعتز الذى يسميه أهل سامراء (المنقور) ، والمعشوق ، والجعفري ، والقصور الاخرى فالغرف فيها عديدة جدا وواسعة جدا ، ومزخرفة بأنواع الزخارف الرخامية ، أو الجصية أو الجبسية وبالفسيفساء ، والآجر المزجج • هذا فى سامراء قبل رجوع الخلفاء الى بغداد • ولا نشك مطلقا فى ان غرف القصور البغدادية ، كقصر الذهب أوباب الذهب ، والخلد ، والقرار ، وقصور البرامكة ، والتاج ، والفردوس ، والثريا ، والحسنى ، والدار المعزية ، ودار المسناة كانت أعظم بهاء ، وسعة من تلك الغرف • فالاخبار متواترة ومتظافرة عن سعة هذه القصور ، وجمال مشتملاتها •

ويكفى للدلالة على ذلك ان نذكر ان طول سور « المنقور » وهو الذى بناه المتوكل لابنه المعتز يبلغ ١٢٠٠ متر ، ومساحته تزيد على ثلاثة أضعاف مدينة سامراء الحالية • واطلال قصر المتوكل المعروف بالجعفرى كأنها مدينة قائمة بذاتها • وبيت الخليفة أو دار الخلافة تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ × ٩٠٠

---

(١) الحيرى • نسبة الى الحيرة • قال المسعودى : (وأحدث المتوكل فى أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه فى بعض الليالى ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر احدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب ، وهيأتها للهجته بها ، وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر ، والكمان ميمنة وميسرة • ويكون فى البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه • وفى اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب • والرواق قد عم فضاؤه الصدر ، والكمين ، والابواب الثلاثة على الرواق • فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والكمين اضافة الى الحيرة • واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماما بفضله ، واشتهر الى هذه الغاية) •

متر • وطول بناية المشوق الداخلية ١٣١ مترا وعرضها ٩٦ مترا • وبين هذه البناية وسورها الخارج مبانٍ فرعية عديدة[١] • اما فى بغداد فقد روى ياقوت الحموى ان قصر عيسى بن علي عم المنصور بالجانب الغربى كان يسكنه أربعة آلاف نفس[٢] • وسمي قصر المنصور بالخلد تشبيهاً له بجنة الخلد لما يحويه من كل منظر رائق[٣] • واما الثريا قصر المعتضد بالله فكان نهر موسى الآخذ من نهر (بِيِسْن) يدخله ، ويدور فيه ، ويخرج منه • وأما نهر المعلى فكان يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ، ويصب فى دجلة • وكان نهر آخر يدخل القصر الحسني ، ويدور فيه ، ويصب فى دجلة • وكان نهر المهدي يصب فى بركة فى جوف قصر الرصافة[٤] •

فأين اذن هذا البناء الصغير ، وغرفه الضيقة من هذه القصور العظيمة ؟ ولأى الامور كانت تستخدم هذه الغرف الصغيرة العديدة الموجودة فى ما يسمى بـ « القصر العباسى » اليوم ؟ • وللاجابة على هذا السؤال ينبغى ان نقارن بين هذه البناية وبين المستنصرية والمرجانية لعلنا نظفر عندها بالجواب الذى يكشف لنا عن حقيقتها • ان التشابه بين هذه البناية وبين المدرستين : المستنصرية ، والمرجانية قوى وشديد بحيث لا يترك مجالا للشك فى ان « القصر العباسى » كان مدرسة عباسية • واليك اوجه الشبه فى الامور التالية :

١ ـ مخطط « القصر العباسى » ومقارنته بمخطط المستنصرية والمرجانية •

ان هذا المخطط قريب الشبه جدا بمخطط مدرستين معروفتين هما : المستنصرية والمرجانية • ففى الضلع القبلية فى كل من هذه العمارات الثلاث : أ ـ مسجد أو جامع • وقبالة الجامع ايوان فخم فى كل من « القصر العباسى » والمرجانية • اما جامع المستنصرية فيقابل ايوان المدخل الفخم ، الرفيع ، المزخرف • ب ـ فى البنايات الثلاث حجرات وغرف عديدة فى

---

(١) سامراء ـ نشرة مديرية الآثار سنة ١٩٤٠ •
(٢) معجم البلدان ٤ ٨٤ ص ١١٨ •
(٣) الخطيب البغدادى ١ : ٧٥ •
(٤) الخطيب البغدادى ١ : ١١٤ ـ ١١٥ •

الطابقين عدا الضلع القبلية حيث المسجد أو الجامع • ج ـ في البنايات الثلاث سلالم في الطابقين يصعد بها من الصحن الى الطابق الثاني والى أعلى السطح يظهر منها أربعة سلالم في المرجانية وستة في المستنصرية واثنان في « القصر العباسي » تبدو آثارهما في الغرفتين الواقعتين على طرفي الايوان• ولا شك في أنه كانت فيه سلالم أخرى مما يلي الجامع أو في أمكنة أخرى غيرهـــا •

٢ ـ الابواب والمداخل :

ان الباب الرئيس في المستنصرية مدخـل رفيع مزخرف أعـلاه وجانباه من الخارج بزخارف رائعة ، وكانت عليه كتابة آجرية بالخط النسخي ، محشاة بزخارف آجرية في منتهى الذوق • والباب يفضي الى مجاز معقود عال ، مزخرف ، على هيأة الاواوين الـكبرى • وفي المرجانية باب عال أيضا فوقه كتابة ، مزخرفة ، كما زخرف أعلاه ، وجانباه أيضا ، وجهته المطلة على الصـحن • والباب يفضي الى مجـاز معقود يتصل بمشتملات المدرسة الاخرى •

وفي « القصر العباسي » باب درست معالم الزخرفة والـكتابة التي يحتمل أنها كانت على جبهته • وهو يفضي الى مجاز أنيق ، مزخرف سقفه وجدرانه بزخارف آجرية جميلة للغاية • وفيه دكات يظهر انها كانت للبوابين والفراشين ولذلك فان هذا المدخل أحرى ان يكون مدخل مدرسة من ان يكون مدخل قصـر أو دار • وهـذا المدخل يتصل بالمسـجد ، والصحن ، والدهليز ، والرواق •

ان هذه الابواب الثلاثة في هذه المدارس الثلاث تتشابه من جميع الوجوه الا في أمر واحد هو ان في باب المدرسة المرجانية اليوم مئذنة قائمة في الركن الايسـر منـه • وليس الامر كذلك في المستنصرية و « القصـر العباسي » وينبغي ان يلاحظ ان هذه المئذنة مستحدثة ويحتمل ان سليمان باشـا والي بغداد بنـاها في سنة ١٢٠٠هـ حينما وسع المصلى وجعـل من المدرسة جامعاً •

ويظهر ان المعمار الذي بنى بناية « القصر العباسي » كان أدق من

غيره حين جعل المجاز وما يتصل به من الاروقة والدهاليز متصلة بعضها ، لتقي الطلاب ، وأرباب هذا المعهد من المطر ، والشمس • وليس الامر كذلك في المستنصرية لأن مدخلها يفضي الى الصحن مباشرة • وربما استنتجنا من ذلك ان هذه البناية قد بنيت في أثناء بناء المستنصرية أو بعدها وليس قبلها • وأن المعمار الذي اشرف على بنائها استفاد من هذا النقص الملحوظ في بناية المدرسة المستنصرية فعالجه في بناية « القصر العباسي » •

٣ ـ الساحات أو الصحون :

وهي الافنية التي تتشابه في هذه المباني الثلاثة ، مما يدل على ان بناية « القصر العباسي » كانت مدرسة أيضا ، فالصحن فيها واحد ، وليس ثمة أي احتمال في تعدد صحونه أو رحباته • أي انه ليس فيه صحن آخر للحرم • والاحتمال الوحيد ان يكون ذلك في الحد الاعلى من البناية • وحيث ان الاسس والغرفتين الموجودتين في هذه الضلع ، وبقايا الجدران الارضية ، والفوقانية لا تزال موجودة حتى هذه الايام ، وحيث ان التناظر يستلزم ان تكون هذه الضلع كالضلع الشرقية المقابلة لها ، باستثناء المجازين ، اللذين في هذه الضلع الشرقية فاننا نستطيع ان نجزم ان هذه البناية تتكون من ساحة أو رحبة واحدة[١] فقط يطل عليها المسجد ، والايوان المقابل له بحجره وغرفه ، كما تطل عليها الحجر ، والغرف التي في الضلعين الشرقية والغربية • ويتصل الصحن بالاروقة والدهليز •

ان هذا الصحن يشبه تماما صحن المدرسة المرجانية ، وصحن المدرسة المستنصرية اللذين يطل على كل منهما المسجد ، والاواوين • وتتصل به الاروقة والدهاليز ، ومنه يفضى الى بيوت الطلاب •

وتختلف هذه الصحون بسعتها وشكلها ، ففي كل من « القصر العباسي » والمرجانية صحن مربع تقريبا ، والصحنان رحبتان صغيرتان اذا

---

(١) ترى مديرية الآثار العامة في نشرتها عن « القصر العباسي » سنة ١٩٣٥ ان القصر كان مؤلفا من عدة احواش وليس الامر كذلك لانه ليس لدينا ما يدل على هذا الامر •

قيستا بصحن المدرسة المستنصرية ، علاوة على ان المستنصرية بالنظر لسعتها وكثرة طلابها ، وتعدد أقسامها العلمية ، كان فيها فيما يظهر أكثر من صحن واحد • فمدرسة الفقه كان لها صحن كبير هو الرحبة الباقية حتى اليوم وتبلغ مساحتها « ٦٢٫٦٠ مترا × ٢٦٫٧٥ متراً » • ودار القرآن ، كان لها صحن فيه اليوم جامع الآصفية • ومما يدل على ذلك فتحة الايوان الذى فى دار القرآن • وربما كان لمبانيها الاخرى التى كانت تجاورها أو تصاقبها ساحة أخرى درست معالمها •

ويمكن ان نقارن بين هذه الصحون فى هذه البنايات الثلاث • فصحن « القصر العباسى » مربع تقريبا ، طوله (٢١٫٥) واحد وعشرون مترا ونصف المتر • وعرضه (٢٠) عشرون مترا •

واما المدرسة المرجانية ، فصحنها مربع أيضا طوله نحو (٢٣) مترا ، وعرضه مثل ذلك •

٤ ـ الاواوين :

ويمكننا ان نعرّف الايوان بأنه طاق كبير عال مدبب العقادة يشبه قاعة كبيرة • يبنى فى صدر احدى الاضلاع فى المبانى الكبرى ، كالمدارس أو دور الخلافة أو القصور • والايوان فى هذه العمارات يقابل الصدر فى الطراز الحيرى ذى الصدر والكُمَّيْن • ويكون عادة مفتوحا على الصحن من جهته الامامية ، ويعرف فى العراق باسم « الليوان » • ومنه ايوان كسرى فى المدائن « سلمان باك اليوم » • وقد يتخذ للتدريس ، والاحتفالات • وفى المدرسة المستنصرية اليوم أواوين عظيمة منها : ايوان دار القرآن • وايوان الشافعية • وايوان الحنفية • وايوان المدخل • وعقود عديدة تمثل بعض الاواوين الصغيرة • والاواوين الكبرى فى هذه المدرسة تشبه تماما الايوان الموجود حاليا فى بناية « القصر العباسى » من حيث طراز البناء ، والسعة ، والزخرفة ، والمتانة • ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة المرجانية الفخم الذى كان يتميز بوجود كتابة فيه تحيط بها الزخرفة •

ان السقف فى ايوان « القصر العباسى » بيضى الشكل ، ومزين

بزخارف تبدأ من علو ثلاثة أمتار ونصف المتر • وقد جعلت كذلك لئلا تمسها الايدي فتتلفها • والقسم المزخرف من الجدران يبرز عن أقسام الجدران السفلى على هيأة افريز جميل • والقسم الامامي من الايوان مزدان بنطاق من الزخارف تزيد في جمال الايوان • ويلاحظ ان هذا النطاق الزخرفي الامامي ينزل الى ما تحت مستوى الافريز الذي في داخل الايوان • ويتصل بطاقين صغيرين يعلوان العقدين الجانبيين الواقعين في طرفي الايوان • اما اواوين المستنصرية فتشبه هذا الايوان من حيث الشكل ، والسعة ، والارتفاع ، وتنوع الزخرفة ، وارتفاعها عن الارض • وكانت الزخرفة واضحة في ايوان الحنفية وضوحا تاما عندما اثبتنا في مقالنا الذي نشرناه في مجلة التفيض سنة ١٩٤٦م ان « القصر العباسي » مدرسة وليس قصرا ولا دارا • ولم تكن الزخارف يومئذ واضحة في ايوان الشافعية الذي يقابله ، ولا في المدخل ولذلك قلنا : « اما زخارف الاواوين الاخرى فيظهر ان بعضها مستور تحت طبقة التبيض » • ولقد صدق حدسنا فقد ازيل الجص عن زخارف الايوان الشافعي ، وعن ايوان المدخل • وظهرت زخارف رائعة جدا لا تقل روعة عن زخارف ايوان « القصر العباسي » ، بل تماثلها من حيث الاتقان ، والتنوع • ان ايوان « القصر العباسي » واواوين المستنصرية وايوان المدرسة المرجانية بهيأتها وارتفاعها توازي الطبقتين وتتشابه حتى في حجومها فسمك الايوان في القصر العباسي أكثر من تسعة أمتار ، وطوله ثمانية أمتار ونصف المتر وعرضه نحو خمسة أمتار ، وسمك الايوان في المستنصرية أكثر من تسعة أمتار وعرضه ستة أمتار • ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة المرجانية •

٥ ـ **المجازات والدهاليز :**

في الضلع الشرقية لكلتا العمارتين مجازان متشابهان ، يفضيان الى دهليز طويل شاهق ، ذي كوى سقفية ، ممتد من وراء الحجرات • طوله في « القصر العباسي » ٢٦،٧٠ مترا • وعرضه ١،٢٨ • وسمكه أو ارتفاعه ٩،٢٠ ، وطوله في المستنصرية

٣٤٫٦٠ • وعرضه ١٫٤٠ ، وسمكه تسعة أمتار • والدهليزان متشابهان تشابها تاما • وحيث ان المستنصرية أوسع من المدرسة التي في « القصر العباسي » والتي نرى أنها « المدرسة الشرابية » لذلك نجد فيها دهاليز أخرى قصيرة على هذا النسق ، كالدهليز الذي يقع خلف القاعتين الكبيرتين الواقعتين مما يلي ربع المالكية •• الخ • (راجع صور الدهاليز) •

٦ ـ القاعات الكبرى :

وفي كل من هذه الدهاليز أبواب تفضي الى قاعات كبرى عددها سبعة في المستنصرية ، وخمسة في « القصر العباسي » [الشرابية] وهذه القاعات متشابهة تشابها غريبا في التخطيط ، والارتفاع ، والحجوم تقريبا • وكذلك في الكوى السقفية ، والمنافذ الهوائية ، وهي « الملاقف » التي تسمى عندنا « بادكيرات » • وأرى ان هذه القاعات كان بعضها للتدريس ولرجال الادارة ، وبعضها الآخر كان لخزن الكتب • فان (أ) و(ب) و(ج) و(د) في المستنصرية كانت للتدريس وكل واحدة منها تتسع لـ ٦٢ طالبا • وان (هـ) للناظر في مصالح المستنصرية • وان (و) إما ان تكون لجلوس المدرسين أو للموظفين التابعين للناظر كالمشرف والكاتب • وكذلك يمكن ان يقال عن قاعات المدرسة الشرابية انها بنيت لنفس الغرض الذي استعملت من اجله القاعات الكبيرة في المستنصرية فان ق٥ كانت للتدريس وهي تتسع لـ ٢٥ طالبا وهم الطلاب الذين كانوا في المدرسة الشرابية اذ ان مساحتها ٨٫٨٠ × ٤٫٢٠ • واما ق٤ و ق٣ وهما تنفتحان على بعضهما ويفضي اليهما من الدهليز ، من مدخل واحد ، فنرجح انهما كانتا لخزانة الكتب • وهما تشبهان القاعتين اللتين في المستنصرية واللتين قلنا ان من المحتمل انهما كانتا محل خزانة الكتب المستنصرية • وهما تنفتحان على بعضهما ويدخل اليهما من صحن المدرسة كما انهما تشبهان قاعتين اخريين في الضلع الشرقية يدخل اليهما من الدهليز الكبير ومن الدهليز الجانبي الصغير ، وهما تنفتحان على بعضهما أيضا • وحجم هاتين القاعتين ق٤ يبلغ ٦٫٥٨ × ٥٫٢١ ومساحة ق٣ تبلغ ٦٫٥٨ × ٤٫٦٥ • وارتفاع كل واحدة من هذه القاعات نحو تسعة

أمتار • واما القاعة ق١ فنرى انها غرفة الناظر فى مصالح المدرسة • ومساحتها ٤٫٢٠ × ٥٫٢٠ مترا واما القاعة ق٢ فمن المحتمل ان تكون لجلوس المدرسين وهى أكبر قليلا من غرفة الناظر • والقاعتان ق١ و ق٢ تتشابهان الى حد كبير مع قاعتى المدرسة المستنصرية هـ ، و • لاحظ المخطط •

٧ ـ غرفة الناظر :

ان ق١ أول قاعة من قاعات « القصر العباسى » فى الضلع الشرقية مزخرف رتاجها ، أى أعلى بابها بزخارف آجرية جميلة جدا كما انه يوجد فى الضلع الشرقية من المستنصرية قاعة على الدهليز الكبير تشبه القاعة المذكورة هى الوحيدة بين قاعات المستنصرية فى الضلع المذكورة مزخرف رتاجها بزخارف آجرية أيضا • مما يدل على انهما كانتا تستعملان لغرض واحد • فاذا كانت تستعمل فى المستنصرية للوالى أو للناظر فى مصالحها فلا شك ان الثانية كانت تستعمل لنفس الغرض • ويلاحظ ان كلاً من القاعتين المذكورتين تطل على مجاز يفضى الى صحن المدرسة •

٨ ـ الحجر والغرف :

فى القصر العباسى حجرات وغرف صغيرة فى الطابقين على طرفى الايوان وفى الاضلاع الاخرى ، ذكرنا ان عددها قد يناهز الاربعين • وفى المستنصرية نحو ١٠٠ من هذه الحجر والغرف عدا القاعات الكبرى ، والاواوين ، والمسجد ••• وعرض الغرف الصغيرة فى الطبقة السفلى ٤٢ سم/٢ متر • وطولها سبعة أمتار • وعرضها فى الطبقة العليا ٤٢ سم/٢ متر أيضا • وطولها ٣٢ سم ٥ متر • وتقع هذه الغرف على جوانب الاواوين المذكورة فى الاضلاع الاربع • فاذا كانت غرف المستنصرية التى رأيت سعتها قد اتخذت بيوتا للطلاب فمن الاولى ان تكون غرف « القصر العباسى » بيوتا للطلاب أيضا •

٩ ـ الزخارف الآجرية :

ان الزخارف فى « القصر العباسى » وفى المستنصرية ، والمرجانية تتشابه الى حد بعيد فى الكمية ، والنوعية فلقد يخيل للناظر الى هذه الزخرفة انها حقول واسعة من الوشى والتزويق يكاد لا يخلو منها مكان فى كل واحدة من هذه العمارات المهمة • ويظهر ذلك جليا بعد العثور على تلك الثروة الزخرفية فى المدرسة المرجانية التى كانت مستورة تحت طبقة من الجص منذ العهد العثمانى • كما ان الزخارف التى ظهرت فى باب المستنصرية ، وايوان المدخل والايوان الشافعى تدل على ان هذه الزخارف الآجرية تمتاز بتنوعها ووفرتها • ولقد كان يظن ان زخارف « القصر العباسى » لا مثيل لها من حيث الدقة والكثرة[1] فلما كشف عن زخارف المستنصرية ، وزخارف المدرسة المرجانية التى كانت مستورة تحت الجص فى المصلى ثبت لنا ان هذه الزخارف من طرز ممتاز ، وانها تتشابه تشابها تاما مما يدل على ان « القصر العباسى » كان قد بنى مدرسة منذ الاساس •

لقد ظن بعض العلماء كما أسلفنا ومنهم (هنرى فوليه) الفرنسى ان هذه الزخارف مصنوعة من الكلس (Stuc) بواسطة قوالب ، غير أن العراقيين يدركون تماما خطأ هذا الظن لانهم لا يزالون يستعملون الزخارف الآجرية وبخاصة المقرنصات Stalactites فى مبانيهم الخاصة ، والعامة لاسيما فى الجوامع والمآذن •

ان زخارف هذه العمارات الثلاث سواء كانت فى السقوف ، أو الجدران أو المقرنصات التي في الاروقة تتألف من قطع من الآجر محفورة ، ومنقوشة • وبتراصفها أو غرزها فى الجدران ، والسقوف تكون أشكال هندسية أو زهرية • كما ان بعض الزخارف تتكون من خليط من الاشكال الهندسية والزهرية فى آن واحد • وأن الزخارف الهندسية كل جزء من أجزائها مزخرف أيضا بنقوش إما هندسية ، وإما زهرية •

---

(١) بقايا القصر العباسى ص ٢٣ •

ويلاحظ ان أكثر الزخارف فى هذه المبانى الثلاثة تكون من قطع من الآجر المزخرف يلتحم مع بعضه بواسطة قطع آجرية رقيقة تقع زخرفتها على جزئها السميك ، وليس على سطحها العريض • وقد يرى ان حافات هذه القطع الرقيقة كثيرا ما تبرز عن سطوح القطع التى تقع بينها وبذلك تكون الزخارف ذات نتوآت كثيرة تزيدها جمالا •

ويلاحظ أيضا ان هذه القطع الرقيقة تكون فى بعض الاماكن منحنية السطوح تقع زخارفها على سطوحها المقعرة • ونتيجة تلاصقها وتراصفها يتكون منها مقرنصات ، وقبب مزخرفة فى غاية الاتقان ، والجمال •

وقد يظهر للباحث فى الزخارف ان أجمل الزخارف تظهر فى مجاز « القصر العباسى » (المابين) ورواقه ، وزواياه ، وفى الايوان • كما انها تظهر بشكلها الرائع في باب المستنصرية ، وصحنها واواوينها • اما دار القرآن المتصلة بالمستنصرية فى الحد الاعلى منها فقد قال ابن الساعى عنها : « لم ير مثلها احد ، وليس لادراك وصفها أمد »[1] • ولا عجب فان المؤرخين المسلمين اجمعوا على ان المستنصرية لم يكن لها نظير فى العالم ، كما انه لم يبن مثلها ، قبلها ، ولا بعدها • ويظهر ان مدارس بغداد كانت كلها تحظى بمثل هذه العناية الفائقة من الناس • فقد قال ابن جبير يتحدث عن مدارس بغداد وعناية القوم بأمرها : « والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهى كلها بالشرقية وما منها مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ••• ولهذه البلاد فى فى أمر هذه المدارس ، والمارستانات شرف عظيم ، وفخر مخلد »[2] • واما الزخارف فى المرجانية فقد ظهرت فى المصلى الذى نقل مكانه القديم الى مكان يجاوره بغيـة تعديل استقامة شارع الرشيد سنة ١٩٤٨م • وكانت من الاتقـان والبداعة بحيث يمكن مقارنتها من حيث الـكثرة ، والتفرع ، والدقة ،

---

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ص ١٨٣ ـ ١٨٤ •

(٢) ابن جبير طبعة اوربا ص ٢٢٩ • وطبعة المـكتبة العربية ببغداد ص ١٨٣ •

بزخارف المستنصرية ، و « القصر العباسى » مما لا يدع مجالا للشك فى ان « القصر العباسى » كان مدرسة كالمستنصرية ، وكالمرجانية .

لقد ظهر التنوع والتفنن فى الزخرفة فى هذه المبانى الثلاثة بعد أن ظل المعنيون بالآثار يرون أن زخارف « القصر العباسى » لا مثيل لها فى بغداد ، لان التزيينات الهندسية ، والزهرية والزخارف المتكونة من امتزاج هذين النوعين ، ومن التزيينات التى تحاكى السجاد ، والمقرنصات التى تشبه خلايا النحل ، أو الاحجار المنقورة ، والنقوش التى تشبه الاخشاب المحفورة ، كلها تتنوع من ناحية الى أخرى . وفى الناحية الواحدة تتنوع من بقعة الى أخرى بصورة عجيبة ، محيرة . كل ذلك حدا بمديرية الآثار ان تعتقد ان هذه الزخارف قد اكسبت هذا « القصر » ! مكانة فنية خاصة فقالت عنه : « غير أنه لا يوجد قصر أو معبد بلغت فيه الزخرفة بواسطة الآجر الى هذا الحد من التنوع ، فى الفروع مع البداعة فى المجموع »[1] . على اننا نرى ان هـذا التنوع ، والابداع قـد ظهرا فى المستنصرية فى الباب ، وايوان المدخل . وفى ايوان دار القرآن ، وفى ايوان الشافعية والحنفية ورتاجات الحجر والغرف كما ظهر في مصلى المرجانية بشكل لايقل عن تلك المكانة الفنية الخاصة فى « القصر العباسى » وان زخارف هـذه المبانى الثلاثة تمثـل « الدرجة القصوى » التى وصلت اليها زخرفة الريازة العربية فى الآجر مما يدل أيضا على ان هذا « القصر » اتخذ مكانا للتدريس كالمستنصرية وكالمرجانية .

١٠ ـ المساجد والمصليات :

وفى القصر العباسى آثار قاعـة كبيرة طولها ١٢٫٨ مترا وعرضهـا ٥٠ سم ٤ أمتار ويزيد ثخن اسسها على المترين تقابل الايوان ، وتطل على الصحن . ونستطيع ان نجزم انها كانت مسجد المدرسة . حيث يصلى الطلاب ، وأرباب هذا الوقف . وهذا المصلى يشبه مصلى المستنصرية الواقع

(١) بقايا القصر العباسى ص ٢٩ .

قبالة ايوان المدخل ، ويطل على صحنها ، وقد ظهر محرابه بعد ما كان مستوراً ببعض المبانى المحدثة • كما ان مصلى المدرسة المرجانية يشبه هذين المسجدين الى حد كبير • فهو بارتفاع الطابقين ويتكون سقفه من ثلاث قبب • ويقابله ايوان فخم • وفيه كتابات محفورة بين شبكات من الزخرفة الآجرية الزهرية والهندسية •

١١ ـ طراز التسقيف :

واما طراز التسقيف فى المستنصرية و « القصر العباسى » فهو متماثل تماما بل هو واحد فى البنايتين • فعقادة الايوان فى « القصر العباسى » تشبه تماما عقادة اواوين المستنصرية والمرجانية • وتسقيف الدهليز والغرف الصغيرة ، والقاعات الكبرى ، والاروقة لا يختلف مطلقا عما هو فى المستنصرية يضاف الى ذلك ان جميع العقادات فى هاتين البنايتين مبنية اما على الشكل المعروف باسم « الدور » وهو الذى يشبه مقطع نصف البيضة كما يظهر ذلك فى سقوف الاواوين ، والمجازات فى كلتا البنايتين • واما على الشكل المعروف بـ « المدنى » الذى يشبه مقطع سلة مسطحة القعر ، مقوسة الجانبين ، كما يظهر ذلك فى سقوف الغرف الصغيرة ، والقاعات الكبيرة فى هاتين البنايتين •

وينبغى ان يلاحظ :

١ ـ ان طاق الايوان فى « القصر العباسى » يعتبر أكبر طاق معقود على الطراز الاول • والسقف قائم على جدارين تبلغ المسافة بينهما خمسة أمتار • اما طوق أواوين المستنصرية فتعتبر أكبر الطوق المعقودة على الطراز الاول أيضا وتبلغ المسافة بين جداري الايوان ستة أمتار •

٢ ـ ويلاحظ أيضا ان أكبر سقوف القاعات الكبرى المعقودة على الطراز الثانى فى « القصر العباسى » يرى فى القاعة المرقمة (٤) كما يلاحظ ان السقف محمول على جدارين تبلغ المسافة بينهما ٥٫٢١ أمتار • بينما نجد ان أكبر السقوف المعقودة على الطراز نفسه فى المستنصرية فى القاعة المرقمة (ب) فالسقف فيها يعلو جدارين يبعد احدهما عن الآخر ستة أمتار •

٣ ـ ان عقود الابواب فى كلتا البنايتين تجمع بين الطرازين الاول

والثانى المذكورين لان كل باب يتألف من طابقين ، الخارجى منها على شكل « الدور » والثانى على هيأة « المدنى »[1] .

لم يبق بعد هذا التشابه العام الذى شرحناه ، بين بناية « القصر العباسى » وبين المستنصرية الا ان نذكر الفوارق التى بينهما لنرى انها فوارق لا تستحق الذكر ولا تكون برهاناً على خلاف ما فصلناه من أمر « القصر العباسى » وكونه مدرسة من المدارس العباسية . ويمكن ان نجمل هذه الفوارق فيما يأتى :

أ ــ فى المساحة . فان المستنصرية كانت أكبر من « القصر العباسى » لانها كانت تضم ٢٤٨ طالبا فى مدرسة الفقه ، و ٣٠ طالبا فى دار القرآن و ١٠ طلاب فى دار الحديث ، و ١٠ فى مدرسة الطب ... الخ واذا كان « القصر العباسى » هو المدرسة الشرابية فانها كانت تضم (٢٥) طالبا فقط . وهذه البناية تكفى لمثل هذا العدد .

ب ــ فى الرواق . فان رواق المدرسة الشرابية أى بناية « القصر العباسى » رواق مزخرف وهو يتكون من طبقتين ويقع أمام الحجر الصغيرة ، بينها وبين الصحن . اما فى المستنصرية فلا يوجد رواق فى الطابق الاسفل منها بل تفضى الغرف الى الصحن مباشرة . اما فى الطابق الاعلى فثمة رواق امام الغرف فى كل ربع من ارباع المستنصرية الاربعة منه يدخل اليها ومنه يطل على الصحن . وهو فى هذه الحالة يشبه تماما رواق « القصر العباسى » أيضـــا .

مما تقدم يمكننا ان نستنتج ان بناية « القصر العباسى » تشبه الى حد كبير بناية المستنصرية ، وبناية المدرسة المرجانية أى ان « القصر العباسى » اشبه ان يكون مدرسة من أن يكون داراً أو قصراً فهو يشبه المستنصرية والمرجانية فى الشكل العـام ، والتخطيط ، وحجـم الغرف ، والمجازات

(١) بقايا القصر العباسى ٢١ ــ ٢٣ .

والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والاروقة ، والسقوف ، والكوى ، والزخارف ، والمساجد ، والاواوين ، ومواقع السلالم .. الخ فالقصر العباسي والحالة هذه لا يمكن ان يكون قصرا ولا دارا بل لا يمكن الا ان يكون مدرسة . وايوانه كان محلا للتدريس في غير فصل الشتاء على مذهب واحد . واما في المستنصرية فكان التدريس على المذاهب الاربعة لان المستنصرية أول مدرسة في العالم الاسلامي جمعت فيها المذاهب الاربعة بصورة رسمية .

و « القصر العباسي » بناء على ما تقدم ذكره لا يمكن ان يكون دار سكنى للخليفة ، أو لنسائه ، وجواريه ، أو لغيره من الامراء ، والقواد . واحرى به بعد التفاصيل والشروح التي سردناها والمقارنة بينه وبين مدرستين معروفتين ان يكون هو أيضا مدرسة عامرة بالفقهاء ، وان غرفه الضيقة التي هي أصغر من غرف المستنصرية لا تصلح الا لسكنى الطلبة على غرار ما كانت عليه الحال في حجر المستنصرية وغرفها ، وفي حجر المرجانية وغرفها .

الفصل الثاني

١ ـ موقع المدرسة الشرابية

وبعد أن اثبتنا بالادلة الفنية ، والتاريخية أن بناية « القصر العباسي » لا يمكن الا ان تكون مدرسة عباسية ، فانه يلزمنا أن نبذل جهدا آخر ، لمعرفة موقع هذه المدرسة ، ومعرفة منشئها .

لقد ظهر لنا في بحثنا عن مدارس بغداد القديمة[١] ان في البقعة المحصورة بين باب المعظم ، ومحلة الميدان الحالية ، وبين نهر دجلة ، والتي كان يقع فيها « باب سوق السلطان » وهو « باب المعظم » وسوق العميد ، وسوق العجم أربعة من كبريات المدارس التي انشئت في العصرين : العباسي ، والمغولي . وهي : المدرسة النجيبية ، والعلائية ، والزيركية ، والشرابية

(١) مدارس العراق في عشرة قرون ـ وهو معد للطبع .

فأما النجيبية فهى المنسوبة الى الشيخ ضياءالدين ابى النجيب عبدالقادر السهروردى المتوفى سنة ٥٦٣هـ ولا يزال ضريحه قائما فيها . والمدرسة لا تزال قائمة حتى اليوم[١] الى جانب المدرسة السليمانية وجامع النعمانية ، والاعدادية المركزية ، قبالة دار الضباط . وأما المدرسة العلائية وهى مدرسة للحنفية تنسب الى الامير علاءالدين بن عبدالمؤمن التركستانى . ويقال لها الشاطئية ، فقد انشئت على كرسى الجسر العتيق المحاذى للمدرسة النجيبية المذكورة آنفا ، فى موضع حسن سنة ٦٩٣هـ . وأما المدرسة الزيركية فهى مدرسة للحنفية أيضا . وكانت فى سوق العميد الواقعة قبالة سوق السلطان . وقد يبدو لاول وهلة ان « القصر العباسى » قد يكون المدرسة العلائية غير أننا بعد البحث والتحرى استرجحنا ان يكون هذا القصر المدرسة الشرابية وهى المدرسة الاقبالية ، أو الشرفية التى اسسها شرف‌الدين اقبال الشرابى . لأن المدرسة العلائية بالرغم من كونها كانت « جميلة البناء ، شاهقة الارجاء » كما يقول ابن الفوطى لا يصح ان تكون هى « القصر العباسى » ولا يمكن ان تدانيه أو تضاهيه من حيث الروعة والجمال بدليل ان ابن الفوطى ذكر انهم ذبحوا لها بقرة تصدقوا بلحمها على الفقراء عند وضع الملبن على الباب[٢] . مما يدل على قلة ثروة مؤسسها اذا قيس ذلك بالبذل الذى بذله اقبال الشرابى وأغدقه على المدعوين يوم افتتاح مدرسته . مما يجعلنا نستنتج ان الزخارف والمقرنصات التى حفلت بها هذه العمارة التى تعد من آيات الفن الاسلامى . وما انفق عليها من أموال طائلة لا يمكن ان تكون فى المدرسة العلائية . ومن المعقول جدا ان يكون هذا البذل والانفاق للشرابى على المدرسة الشرابية ، ناهيك بما بذله على عماراته الاخرى فى العراق ، والحجاز .

---

(١) وقد جدد بناؤها سنة ١٩٤٩م . واضفنا اليها مدرسة كبيرة فى تلك السنة عندما كنت مديرا لاوقاف منطقة بغداد . وجعلت المدرسة متوسطة أول الامر وهى اليوم اعدادية .

(٢) لا تزال هذه العادة متبعة فى بغداد وهى ان تذبح ذبيحة وتوزع على الفقراء وعمال البناء عند تركيب باب الدار .

لقد كان الشرابى اثيرا عند المستنصر بالله ويظهر انه كان يتقرب اليه والى الناس بخدمة العلم ، والدين ويقوم بالاعمال الجليلة الاخرى كبناء المدارس ، والرُبط ، ووقف الاوقاف الكثيرة عليها . فقد روى المؤرخون أنه بنى ببغداد المدرسة الشرابية ، كما بنى مثلها فى كل من واسط مدينة الحجاج . ومكة المكرمة .

اما مدرسته التى ببغداد ، وهى التى تهمنا فى بحثنا هذا فقد بنيت فيما ذكره العماد الحنبلى « فى سوق السلطان[1] » . وذكر النعيمى انها بنيت « بسوق العجم من بغداد[2] » وذكر مؤلف الحوادث الجامعة : ان بناءها كان « فى سوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان [باب المعظم[3]] ، مقابل درب ملاحين »[4] وقال أيضا : « وبنى [الشرابى] ببغداد مدرسة فى سوق السلطان[5] .

وذكر ابن النجار ان سوق السلطان كانت قريبة من دجلة فقد جاء فى الجواهر المضية[6] ان محمد بن محمد البلخى الزاهد المتوفى ببغداد سنة ٦٠٢هـ قدم بغداد واستوطنها « بسوق السلطان فى مسجد له قريبا من دجلة » .

وقد ذكر كثير من المؤرخين ان الذى بنى جامع سوق السلطان هو الناصر لدين الله العباسى وقد بناه مقابل سوق العميد ، ويظهر ان المحلة التى عرفت بسوق السلطان كانت حول سوق السلطان وهى محلة الميدان[7] الحالية . كما يظهر ان معظم هذه السوق قد اندمج فى القلعة .

---

(١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦١ .
(٢) الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ١٥٩ .
(٣) احد أبواب بغداد الرئيسة وقد هدم سنة ١٩٢٣م .
(٤) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ، ٣٠٨ .
(٥) الحوادث الجامعة ص ٣٠٨ .
(٦) ج ٢ ص ١١٨ .
(٧) راجع حاشية الدكتور مصطفى جواد فى ص ٣٧ من « تكملة اكمال الاكمال » للصابونى وص ١٤٨ من الجامع المختصر لابن الساعى والكتابان من تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

فاذا كانت سوق السلطان هى سوق الميـدان التى بالقرب من باب المعظم • ومسجد سوق السلطان فى اغلب الظن هو جامع القلعة الحالى الذى بناه الناصر لدين‌الله العباسى ادركنا ان المدرسة الشرابية يحتمل جدا ان تكون هى « القصر العباسى » واذا كانت هذه المدرسة قريبة من درب الملاحين أو مقـابل درب الملاحـين كمـا ورد ذلك فى الحـوادث الجامعـة فـان درب الملاحـين لا بد ان يكون ممـا يلى دجلـة على مقـربة من بهـو أمانة العاصمة • وهذه المشرعة قريبة جدا من « القصر العباسى » أى انها قريبة جدا من المدرسة الشرابية • على ان الذى يؤيد هذا الرأى ويقويه ان المسافة بين باب « القصر العباسى » وبين نهر دجلة تبلغ نحو ثمانين مترا ، ولذلك فمن المحتمل جدا ان يكون فيها أو على مقربة منها « درب الملاحين » الذى بنيت المدرسة الشرابية قبالته أو على مقربة منه ••

٢ – افتتاح المدرسة الشرابية

ويحسن بنا بعد الذى ذكرناه عن هذه المدرسة ان نشير الى افتتاحها والى بعض اخبارها •

ذكر النعيمى[١] نقلا عن ابن كثير قال : « وقال ابن كثير فى سنة ثمان وعشرين وستمئة : وفيها تكامل بناء المدرسة الاقبالية التى بسوق العجم من بغداد ، المنسوبة الى اقبال الشرابى • وحضر بها الدرس • وكان يوما مشهودا • واجتمع فيها جميع المدرسين ، والمعيدين ببغداد • وعمل بصحنها قباب الحلوى ، فحمل منها الى جميع المدارس والرُبط • ورتب فيها خمسة وعشرين فقيهـا لهم الجوامك الدارّة فى كل شهر • والطعـام فى كل يوم • والحلوى فى أوقات المواسـم • والفواكه فى زمانهـا • وخلع على المدرسين ، والمعيدين ، والفقهاء يومئذ • وكان وقفا حسنا ، تقبل الله منه » • وذكر مؤلف الحوادث الجامعة قال : « وفى شوال [سنة ٦٢٨هـ] تكامل بناء المدرسة التى انشأها شرف‌الدين اقبال الشرابى بسوق العجم ، بالشارع

(١) الدارس فى تاريخ المدارس ص ١٥٩ – ١٦٠ •

الاعظم ، بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين ، وكان المتولى لبنائها شمس‌الدين ابو الازهر أحمد ابن الناقد[1] ، وكيل الخليفة المستنصر بالله . وشرط الواقف له النظر فيها وفى اوقافها ثم بعده الى من يلى وكالة الخلافة ، وفتحت فى آخر شوال ورتب بها الشيخ تاج‌الدين محمد ابن الحسن الارموى مدرسا وخلع عليه ، وعلى الفقهاء ، والمعيد وجميع الحاشية ، ومن تولى عمارتها . وحضر جميع المدرسين ، والفقهاء على اختلاف المذاهب . وقاضى القضاة عبدالرحمن بن مقبل ، فجلس فى صدر الايوان . وجلس فى طرفى الايوان محى‌الدين محمد بن فضلان . وعمادالدين ابو صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر فكلاهما كان قاضى قضاة . وعمل من أنواع الاطعمة ، والحلواء ، ما تعبى فى صحنها قبابا ، وحمل من ذلك الى جميع المدارس والاربطة ، وقرئت الختمة ، وتكلم الشيخ محمد الواعظ ، ثم جلس المدرس بعده ، وذكر دروسا أربعة فأعرب عن غزارة فضله ، وتوسع علمه »[2] . وجاء فى الحوادث الجامعة أيضا ان الشيخ تاج‌الدين محمد ابن الحسن الارموى مدرس الشرفية المذكور توفى فى سنة ٦٥٣هـ وقد جاوز عمره ثمانين سنة قال : « وكان وحيد عصره فضلا ، وفريد داره علما . قرأ على الامام فخرالدين الرازى وصحبه ، وكان متواضعا لمن دونه ، مترفعا على من فوقه ، وكان عريض النعمة ، واسع الجاه بوجود الشرابى ، يستكثر من المماليك الحسان الترك وغيرهم . وكان اهل بغداد يتحدثون فيه ، فلا يعبأ بحديثهم ولا يكترث لذلك . حكى عنه بعض أصحابه قال : قلت له يوما : ان الناس قد

---

(١) نصيرالدين ابو الازهر من كبار رجال العرب العلويين ، ولى وكالة ام الخليفة الناصر فى وقوفها ، فلما ولى الظاهر وكله لاولاده العشرة . فلما ولى المستنصر احضره يوم مبايعته ، واشهد له بوكالاته ، واضيفت له استاذية الدار سنة ٦٢٧هـ ثم نقل الى الوزارة سنة ٦٢٩هـ والوكالة باقية عليه . مولده فى شوال سنة ٥٧١هـ ووفاته ٦ شهر ربيع الاول سنة ٦٤٣هـ ودفن فى الكاظمية .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ـ ٢٥ . وراجع تاريخ علماء المستنصرية ١١٢ ، ١١٦ ، ٣٠ عن ابن مقبل وابن فضلان وابى صالح الجيلى .

اكثروا القول فى هؤلاء المماليك فقال : الست تعلم ان الانسان يحب ان يسكن أحسن الدور ، ويلبس أفخر الثياب ، ويأكل أطيب المآكل ، ويركب أجمل المراكب ؟ قلت بلى • قال : فلم لا يكون من يلى خدمتى به ، ويقرب منه على احسن صورة ! وان شئت أريتك ما بدارى من الجوارى الحسان ، فامسكت عنه • وعرفت انه كذا ينبغى للعاقل ان يفعل • وقيل له يوما : ان جاريتك فلانة تحب مملوكك فلانا ، وكانا فى غاية الحسن ، والجمال فقال : الآن ثبت عندى صحة عقلها • ودفن فى قبة بنيت له فى الشونيزى »[١] •

الفصل الثالث

اقبال الشرابى مؤسس الشرابية

جاء فى الحوادث الجامعة انه شرف‌الدين أبو الفضائل اقبال الشرابى[٢] وكان اولا لعزالدين نجاح الشرابى • وانتقل الى زوجته بعد وفاته فلما افضت الخلافة الى الظاهر حملته اليه فقبله ، فأبعده عنه رشيق ، وانفذه الى ولده المستنصر فلما دخل عليه قال له : ما اسمك ؟ فقال : اقبال • فسر بذلك واستبشر ، وتفاءل به فلما افضت الخلافة اليه ، قربه ، وقبض على رشيق وحبسه ، وجعل اقبالاً شرابياً ، ثم جعله سرخيل العسكر ، فلما توفي زعيم إربل سار بالعسكر اليها ، وأخذها وعاد مظفراً فلما افضت الخلافة الى المستعصم زادت منزلته عنده ، وقرب من قلبه ، فلما وصلت عساكر المغول سنة خمس وثلاثين [وستمئة] خرج الى لقائهم ، وظهر من حسن تدبيره ما اوجب زيادة الانعام عليه • وكان حال الملك منتظما بصائب رأيه فلما توفي اختلت الاحوال بعده »[٣] •

---

(١) ص ٣١٠ — ٣١١ • والشونيزى هى مقبرة الجنيد البغدادى بجانب الكرخ •

(٢) ص ٧٦ و ٣٠٨ •

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ •

ولما غيرت ثياب العزاء بعد الحداد على المستنصر وتولى ابنه المستعصم الخلافة خلع على شرف الدين اقبال الشرابى فى حضرة الخليفة المستعصم ، وقلده سيفين بيده . وقُدم له مركوب من خيل الخليفة فى البستان ، فخرج راكبا وبين يديه الخدم بسيوف مشهورة ، فخدمه الامراء بين يدى مركوبه . فخرج من باب النوبى فلما انتهى الى باب البدرية استأذنه علاءالدين الطبرسى الدويدار ، وكان راكبا فى آخر الامراء فى العود الى داره فأذن له ، وللامراء فنزل علاءالدين وعضده ، وقبل يده وعاد[1] .

وجاء فى الحوادث الجامعة انه بنى فى الجانب الشرقى من واسط مدرسة للشافعية ، فتحت فى سابع عشر شعبان من سنة ٦٣٢هـ بناها على دجلة مجاورة لجامع كان داثراً فأمر بتجديد عمارته ، ورتب به مدرسا العدل أحمد بن نجا الواسطى . ورتب بها معيدان ، واثنان وعشرون فقيها وخلع على الجميع ، وعلى من تولى عمارتها من النواب ، والصناع ، والحاشية الذين رتبوا لخدمتها . وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان « ابن الدباهى » والناظر بواسط ، والقاضى ، والنقيبان ، والقراء ، والشعراء . وكان المتولى لعمارتها والذى جعل النظر اليه والى عقبه فى وقفها ابو حفص عمر بن ابى بكر بن اسحق الدورقى[2] .

وذكر قطب الدين الحنفى فى كتابه الاعلام باعلام بيت الله الحرام[3] انه « بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة فى سنة ٦٤١هـ ويظهر ان هذه الكتب كما يقول قطب الدين « ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا وفيه محل التدريس » .

وجاء فى الحوادث الجامعة[4] انه جدد بمكة الرباط الذى اشتهر ذكره

---

(١) الحوادث الجامعة ١٦٧ ـ ١٦٨ .
(٢) الحوادث الجامعة ٧٧ .
(٣) ص ٨٢ .
(٤) ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

فى الدنيا ، وعين عرفة التى فى الموقف ، وأجرى ماءها لانتفاع الحاج به واوقف على ذلك الوقوف السنية . قال : وكان كثير الصدقات ، والمواصلات . كان فى خدمة الخليفة بالحلة فمرض بها وحمل الى بغداد فى شُبّارة ، وهو مثقل ، فوصل فى سابع عشرى شوال [سنة ٦٥٣هـ] وتوفي فى ثامن عشريه . وصُلّي عليه فى جامع القصر ، ودفن فى تربة ام الخليفة المستعصم بباب القبة على يمين الداخل . وجلس الوزير ، وارباب المناصب فى العزاء بالمدرسة المستنصرية . وكان شيخا شجاعا كريما ، شريف النفس ، عالى الهمة[1] .

---

(١) راجع ص : ٩٨ و٩٩ و١٠٩ و١١٠ من الكتاب المظنون انه الحوادث الجامعة عن اعماله العسكرية وجهوده فى صد المغول عن اربل ، وبغداد .

المراجـــع

١ ــ الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ٠

٢ ــ شذرات الذهب لابن عبدالحى الحنبلى ٠

٣ ــ البداية والنهاية لابن كثير ٠

٤ ــ الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى ٠ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ٠

٥ ــ الفخرى لابن الطقطقى ٠

٦ ــ الاعلام باعلام بيت الله الحرام لقطب‌الدين الحنفى ٠

٧ ــ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١

٨ ــ معجم البلدان لياقوت الحموى

٩ ــ مراصد الاطلاع لصفى‌الدين عبدالمؤمن

١٠ ــ مروج الذهب للمسعودى

١١ ــ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ٠

١٢ ــ رحلة ابن جبير ٠

١٣ ــ بقايا القصر العباسى ٠ لمديرية الآثار القديمة ٠

١٤ ــ سامراء ٠ لمديرية الآثار القديمة ٠

١٥ ــ تكملة الاكمال للصابونى } وهما من تحقيق الدكتور مصطفى جواد

١٦ ــ الجامع المختصر لابن الساعى }

١٧ ــ تاريخ علماء المستنصرية ٠ ناجى معروف

١٨ ــ النصوص الكتابية على جدران المستنصرية والمرجانية ٠

١٩ ــ مجلة سومر ٠

٢٠ ــ مجلة التقيض ٠

٢١ ــ مباحث عراقية ليعقوب سركيس ٠

٢٢ ــ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ٠

٢٣ ــ ابن الفوطى : للشبيبى ٠

24 — Mission en Mesopotamie. Louis Masignon. VII.

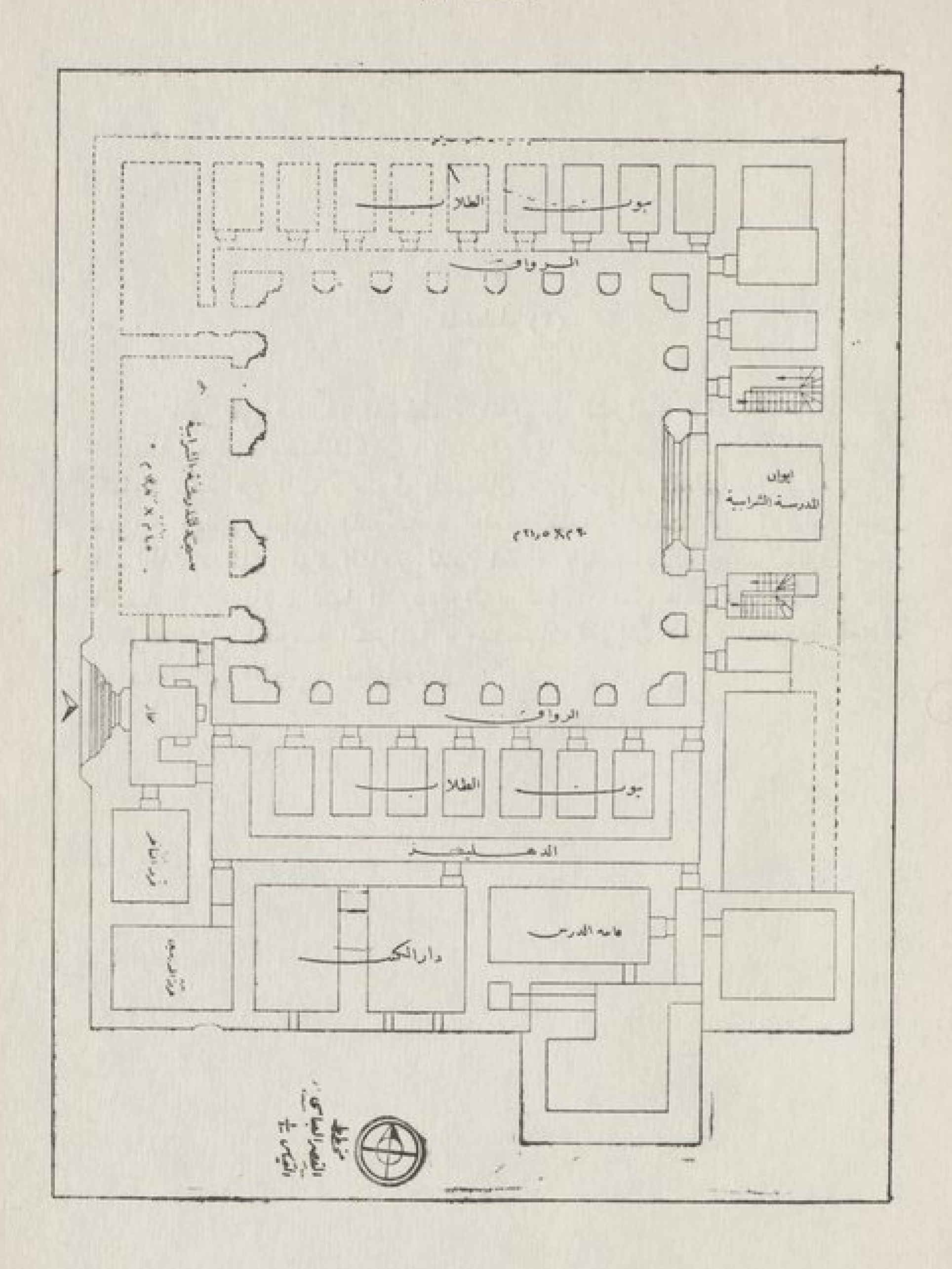
25 — L'architecture Musulmane du XIIIe Siécle en Iraq. Paris 1913.

المخططات
والالواح
والشروح

المخطط (١)

مخطط كامل للمدرسة الشرابية تظهر فيه الرحبة أو الصحن وهو الساحة الوحيدة التى فى هذه المدرسة ، وهى مربعة تقريبا كساحة المدرسة المرجانية · ويطل على الساحة مسجد المدرسة ، وايوانها الشاهق ، والاروقة ، وبيوت الطلبة فى الطابقين · كما يظهر فى المخطط باب المدرسة الواقع مما يلى دجلة ، والقاعات الكبرى التى اتخذت للتدريس ، ولخزانة الكتب ، وللقائمين بشؤون المدرسة العلمية والادارية · وقد دلت التحريات الاثرية التى قامت بها مديرية الآثار العامة ان الاسس اصلية لم يظهر فيها أى أثر يدل على النقض ، أو على اضافة اسس أخرى ، كما أنه ليس فيها اسس أو جدران تتعارض مع الاسس الاصلية · ويلاحظ أن هذا المخطط قريب الشبه جدا بمخططى مدرستين معروفتين باقيتين ببغداد هما : المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية من حيث شكل الاواوين والحجرات والغرفات والدهاليز والاروقة ·

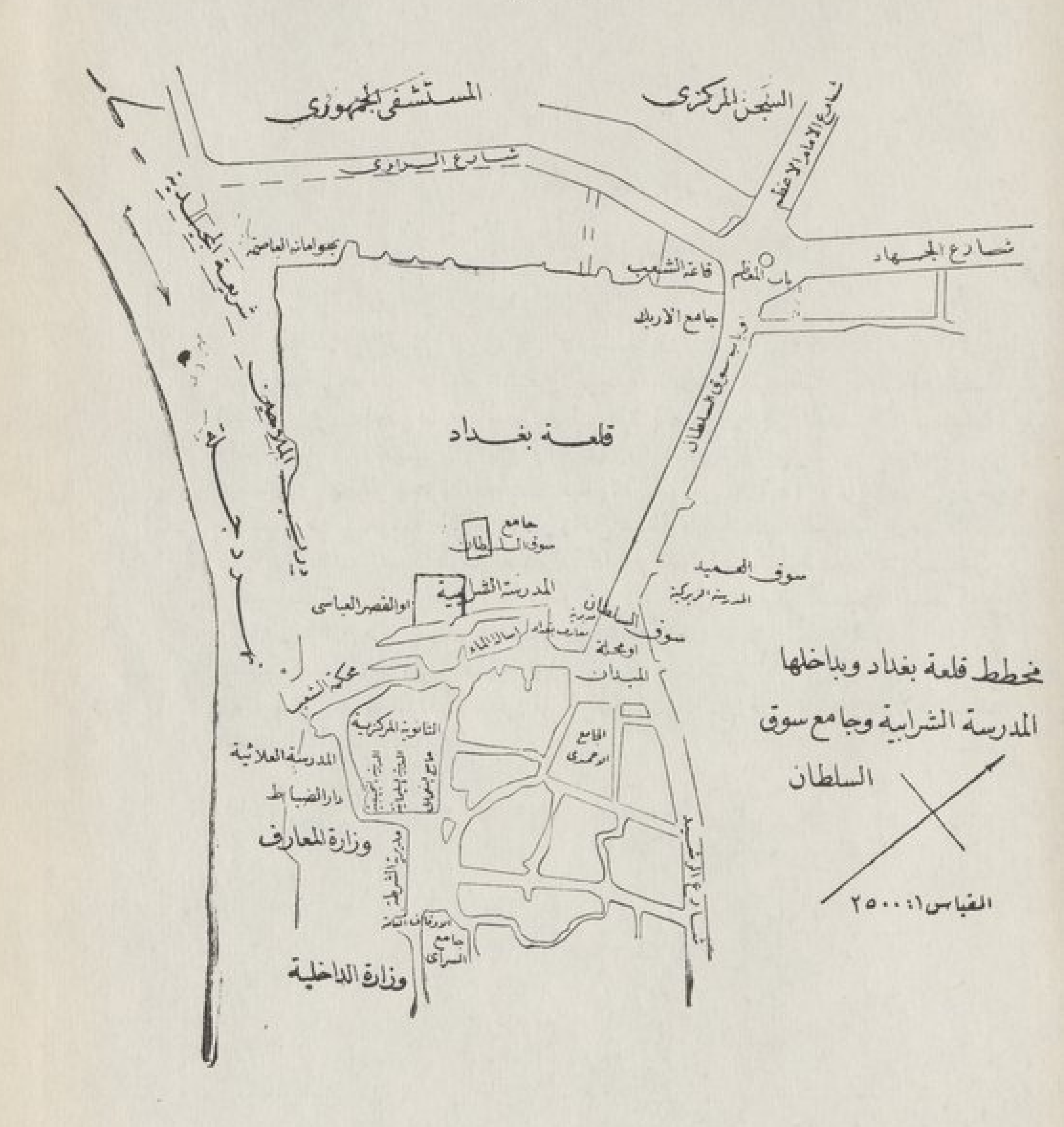
المخطط (١)


بيوت الطلاب
الرواق
ايوان
المدرسة الشرابية
الرواق
بيوت الطلاب
الدهليز
قاعة الدرس
دار الكتب

المخطط (٢)

تظهر فى هـــذا المخطط « المدرسة الشرابية » قريبة من « سوق السلطان » أو « محلة الميدان » اليوم . ولا تبعد عنها أكثر من ١٥٠ مترا . كما لا تبعد عن باب « سوق السلطان » أو « باب المعظم » أكثر من ٣٠٠ متر . ويظهر بجوار المدرسة « جامع القلعة » حيث كان « جامع سوق السلطان » الذى بناه الناصر لدين الله . ويظهر قبالة هذه السوق سوق العميد التى كانت فيها المدرسة الزيركية . كما يظهر على شاطىء دجلة بالقرب من « المدرسة الشرابية » مدرستان أخريان هما : المدرسة العلائية ومدرسة ابى النجيب السهروردى .

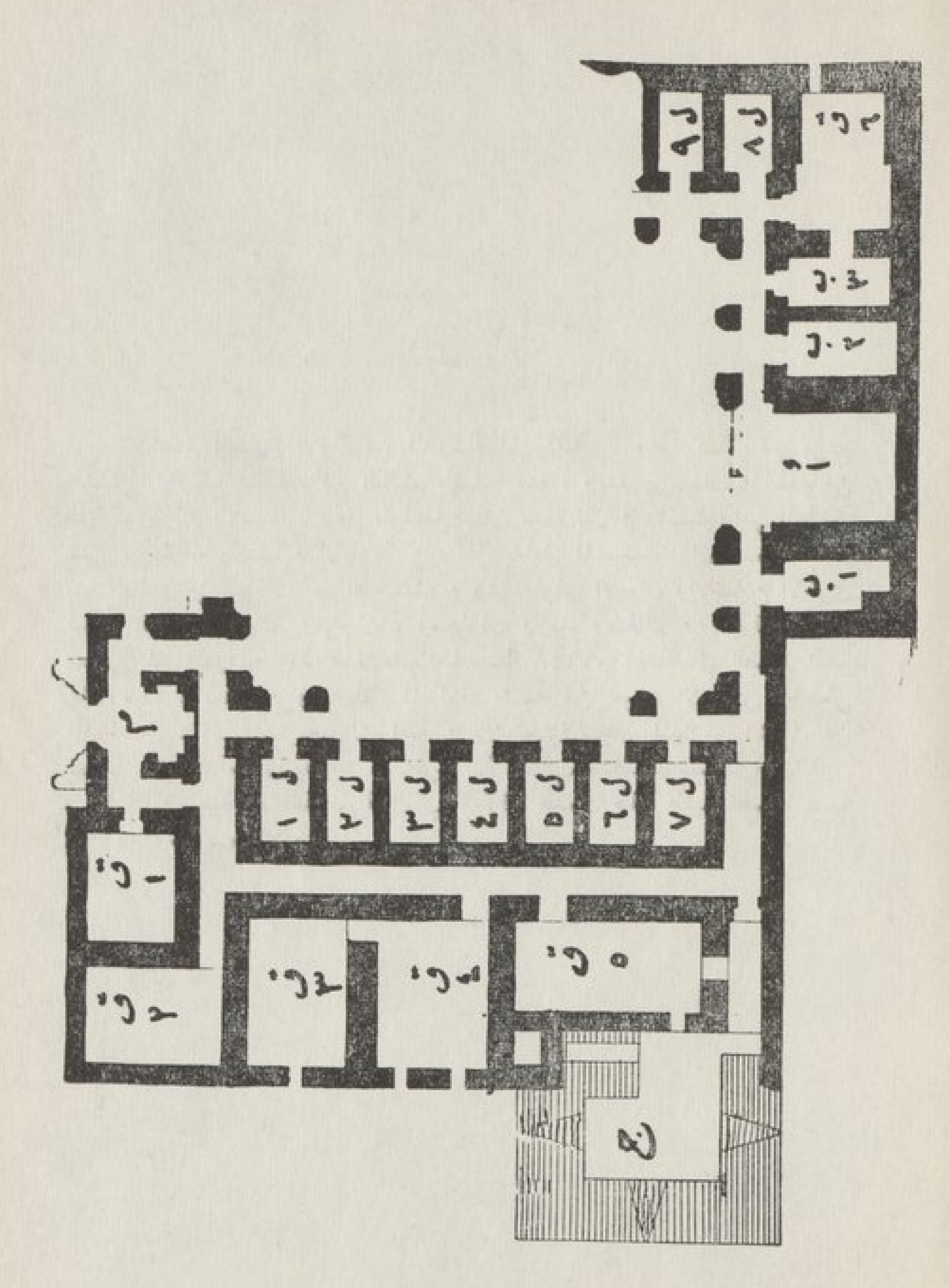
المخطط (٢)


المستشفى الجمهوري
السجن المركزي
شارع الامام الاعظم
شارع الرازي
شارع الجهاد
باب المعظم
قاعة الشعب
جامع الاربك
قلعة بغداد
جامع
سوق السلطان
المدرسة الشرابية
او القصر العباسي
سوق السلطان
او محلة
الميدان
محكمة الشعب
الثانوية المركزية
المدرسة العلائية
دار الضباط
وزارة المعارف
جامع
السراي
وزارة الداخلية
مخطط قلعة بغداد وبداخلها
المدرسة الشرابية وجامع سوق
السلطان
المقياس ١ : ٢٥٠٠

المخطط (٣)

مخطط الطابق الاول من المدرسة الشرابية كما هو اليوم · وتبدو فيه رحبة المدرسة مربعة الشكل كرحبة المدرسة المرجانية · وقبالة الضلع القبلية ايوان فخم اشير اليه بحرف (أ) يشبه أواوين المدرسة المستنصرية والمرجانية من حيث الارتفاع والسعة ، والثروة الزخرفية · ويلاحظ على الاضلاع الباقية وجود حجرات صغيرة تبدأ من (ل ١) حتى (ل ٩) وهى بحجم غرف المدرسة المرجانية ، وأقل سعة من غرف المستنصرية ، ولاشك فى انها كانت تتخذ بيوتا للطلاب كما هو الحال فى المدرستين ، المستنصرية والمرجانية · ويقابل الايوان ردهة كبيرة لم يبق منها الا اسسها السميكة · ويدل وقوعها فى الضلع القبلية على انها كانت مصلى لهذه المدرسة · وهى بذلك كمسجدى المستنصرية والمرجانية · ومما يؤكد ذلك ان الضلع القبلية فى هذه البناية ليس فيها حجرات كالتى فى الاضلاع الاخرى كما اثبت التنقيب ذلك ·

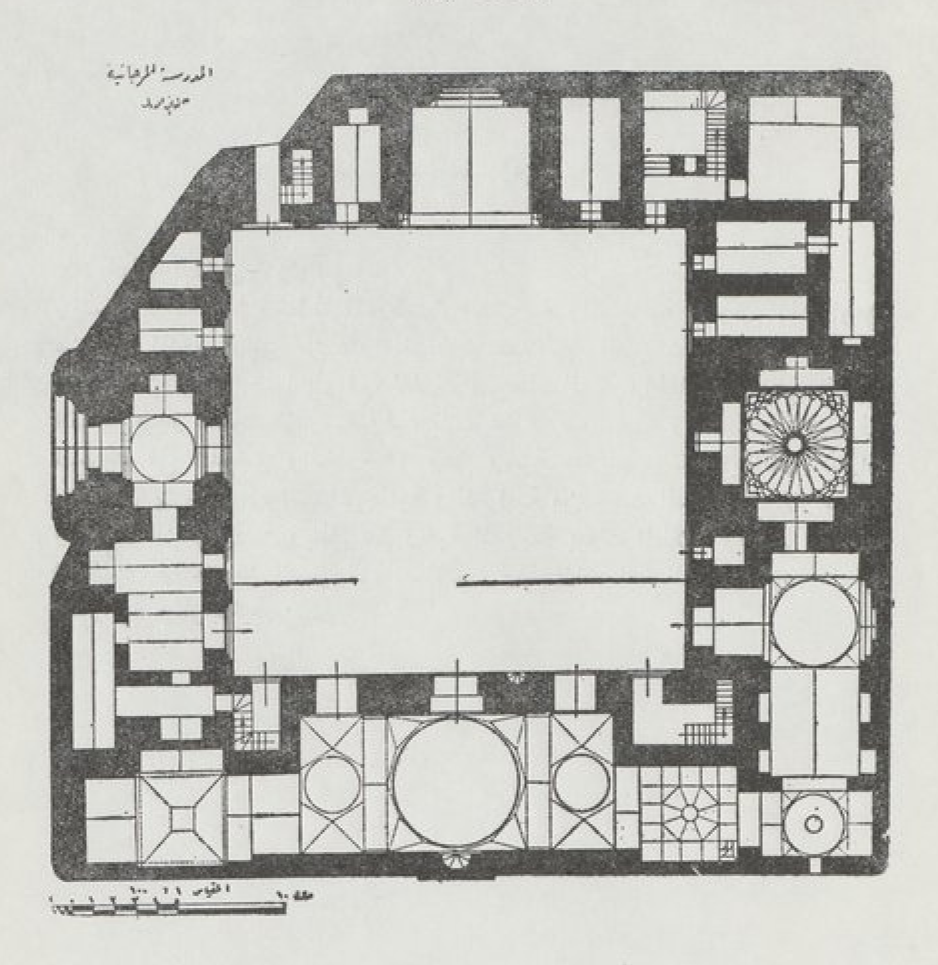
المخطط (٣)



المخطط (٤)

مخطط الطابق الاول من المدرسة المرجانية • وهو كما يبدو مربع الشكل • ويقع المسجد فى الضلع القبلية منه ، ويتكون سقف المسجد من قبة كبيرة فى الوسط ، وعلى طرفيها قبتان صغيرتان • والمسجد من الداخل غنى بزخارفه وكتاباته الآجرية • وكان يقابل المسجد ايوان ضخم كانت فيه سطور من كتابات آجرية جميلة • وعلى طرفى الايوان والاضلاع الاخرى بيوت الطلبة ، ومدفن مرجان ، ومجازات ورداه وسلالم ••• وقد تغيرت معالم هذه المدرسة بعد هدم مصلاها سنة ١٩٤٨م ونقله الى الضلع التى كان فيها الايوان • والمخطط المذكور يشبه من حيث الاساس مخططى المدرستين : المستنصرية والشرابية • ولا تختلف هذه المدارس الثلاث عن بعضها الا فى أمر واحد هو أن المرجانية اتخذت مدفناً لمؤسسها أمين الدين مرجان فى القبة الواقعة قبالة الباب • وقد هدمت هذه القبة الجميلة سنة ١٩٤٨م وسويت بالارض •

المخطط (٤)



المخطط (٥)

مخطط الطابق الاول من مدرسة الفقه المستنصرية • وهو مستطيل الشكل ويشبه بوجه عام مخطط المدرستين الشرابية والمرجانية • وفى الحد الاعلى من هذه المدرسة جزء من دار القرآن المستنصرية التى يشغل جامع الآصفية اليوم الجزء الاعلى منها الواقع خلف ربعى الشافعية والحنابلة • وفى الضلع القبلية يبدو مسجد المدرسة وفيه ثلاث عقود كبيرة وقد زالت جميع زخارف المسجد فى الداخل والخارج • وعلى رحبة مدرسة الفقه ايوانان كبيران متقابلان يشبهان ايوانى المرجانية والشرابية من حيث السعة ، والارتفاع ، والثروة الزخرفية • ويطل على رحبة المدرسة بيوت الطلاب وبعض القاعات الكبرى والاواوين الصغيرة والسلالم ، والمجازات المختلفة على طراز ما فى الشرابية والمرجانية •

المخطط (٥)

مخطط الطابق الاول من المدرسة المستنصرية

١٨

١

٢٢

٢٢

المدخل

٢

د

٥ ٣

٣ ٥

ج

ربع الحنابله

ربع المالكية

٥

٢١

ب

٤

١٩

ايوان الشافعية

ايوان الحنفية

٢٣

ايوان دار القرآن

ز

١٥

٥

ربع الشافعية

ربع الحنفية

٥

٥

و

هـ

٢١

١٣ ١٣

مسجد المدرسة

١٧

أ

المحراب

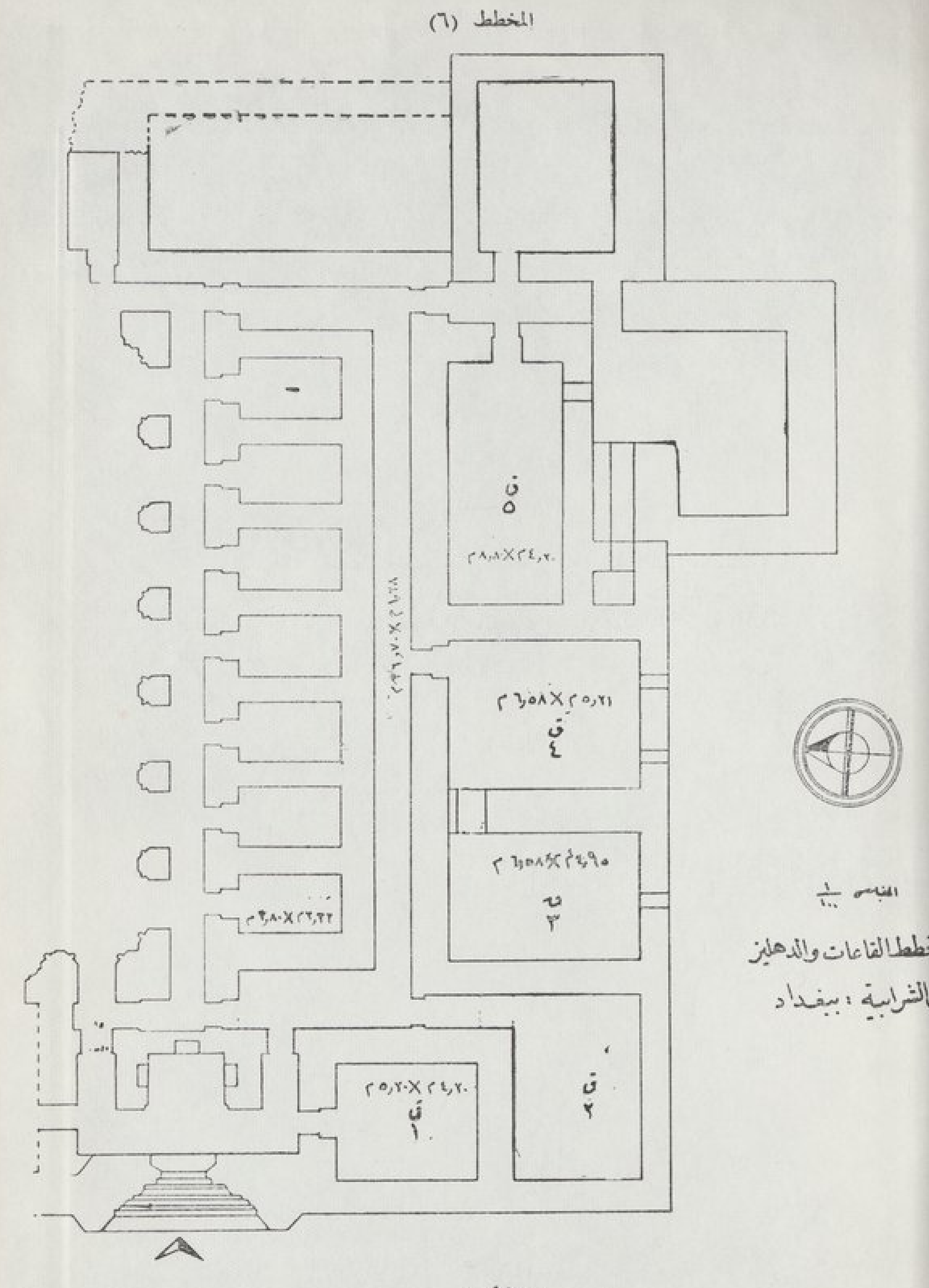
٢٠ لكتاب تاريخ علماء المستنصرية

نهر دجلة

المخطط (٦)

ويظهر فيه القسم الاسفل من الشرابية بحجراته الصغيرة وقاعاته الكبيرة ، والدهليز ، والمجازين اللذين يتصلان برحبة المدرسة • وهذا القسم من « المدرسة الشرابية » يشبه تمام الشبه القسم الاسفل من المدرسة المستنصرية بحجراته الصغيرة ، وقاعاته الكبيرة ، والدهليز ، والمجازين اللذين يتصلان برحبة المدرسة • (راجع مخطط المستنصرية المرقم « ٥ ») •

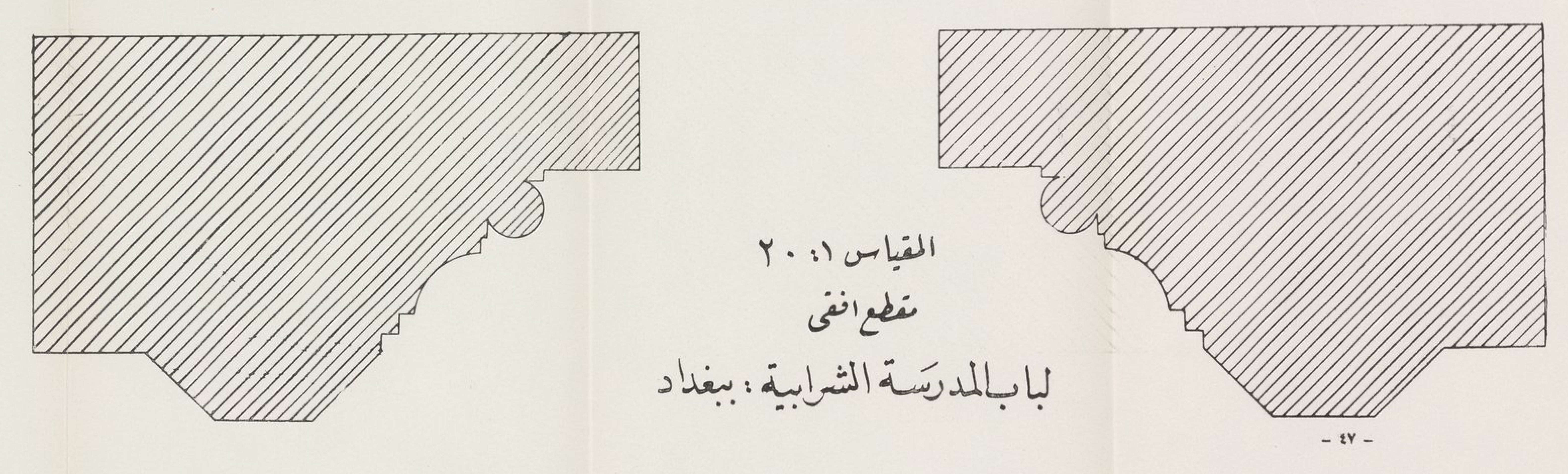
المخطط (٦)



ق ٥
ق ٤
٥,٢١ م X ٦,٥٨ م
ق ٣
٤,٩٥ م X ٦,٥٨ م
٢٦,٢٢ X ٣,٨٠ م
ق ١
٤,٢٠ X ٥,٢٠ م
ق ٢
المقياس ١/١٠٠
خطط القاعات والدهليز
الشرابية : ببغداد

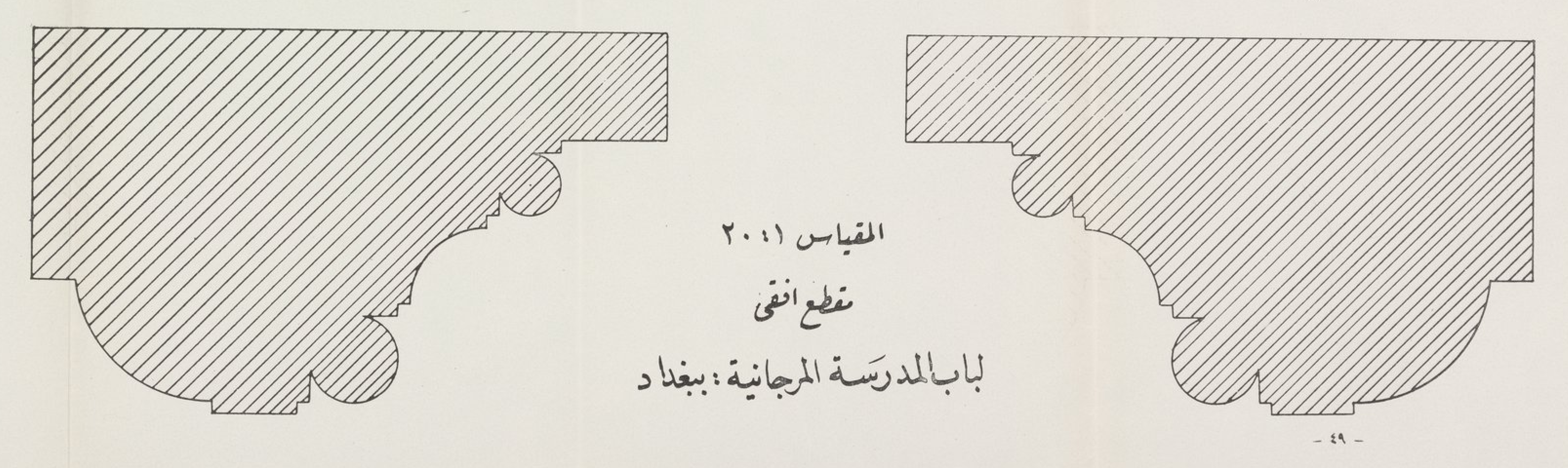
المخطط (٧)

فى هذا المخطط مقطع افقى لمدخل المدرسة الشرابية يشبه الى حد بعيد المقطع الافقى لمدخل المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية من حيث السعة ، والجدران المسطحة أو المقعرة ، والاعمدة الآجرية المندمجة فى جدارى المدخل ٠


المقياس ١: ٢٠
مقطع افقى
لباب المدرسة الشرابية : ببغداد

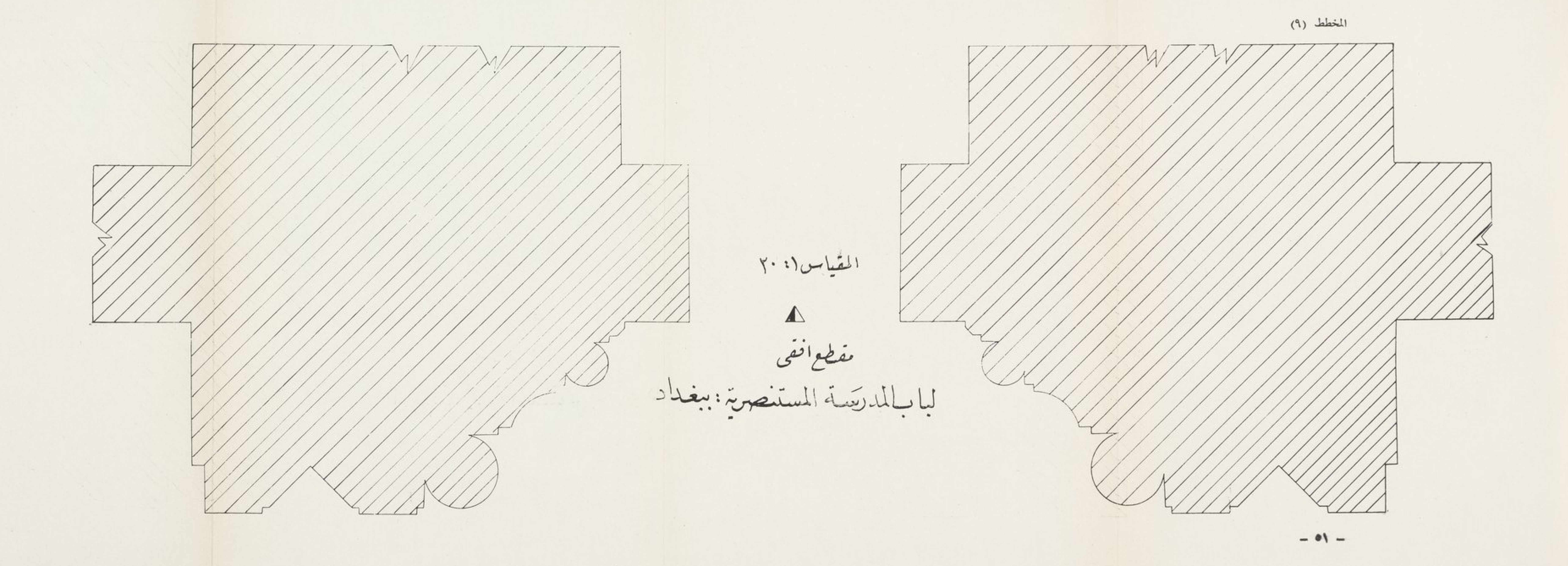
المخطط (٨)

في هذا المخطط مقطع افقى لمدخل المدرسة المرجانية يشبه المقطع الافقى لمدخل المستنصرية . ويمكن ان يقارن به مدخل المدرسة الشرابية من حيث السعة والارتفاع والجدران المسطحة أو المقعرة والاعمدة الآجرية المندمجة في جدارى المدخل . ويلاحظ ان هذا المدخل قد زخرف رتاجه وجانباه بزخارف وكتابات آجرية جميلة .


المقياس ١:٢٠
مقطع افقي
لباب المدرسة المرجانية: ببغداد

المخطط (٩)

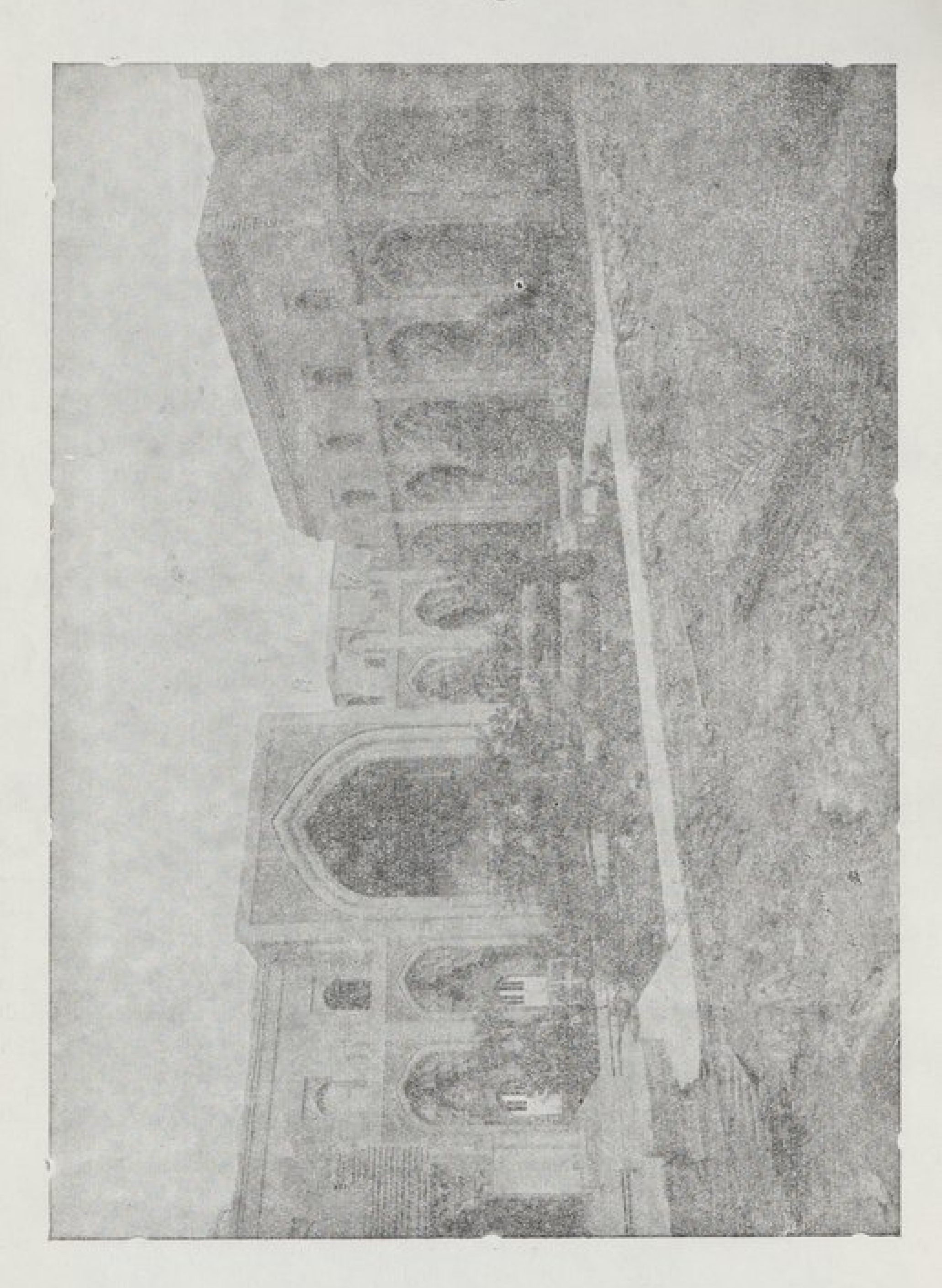
فى هذا المخطط مقطع افقى لمدخل المستنصرية يمكن ان يقارن به مدخل المدرسة الشرابية من حيث السعة والارتفاع ، والتحديب والتقعير . ويلاحظ ان هذا المدخل قد زخرف جانباه بزخارف آجرية رائعة بارزة أو غائرة على جدران مسطحة أو مقعرة أو على أعمدة اسطوانية مندمجة ، كما زخرف رتاجه بزخارف أو كتابات آجرية غاية فى الروعة والدقة .


المقياس ١ : ٢٠
مقطع افقي
لباب المدرسة المستنصرية : ببغداد

اللوح (١٠)

ايوان المدرسة الشرابية : وهو طاق كبير عال ، مدبب ، مفتوح على الصحن من جهته الامامية ٠ وهو يشبه ايوان المرجانية وأواوين المستنصرية من حيث السعة والارتفاع والزخرفة ٠ وسقف الايوان بيضى الشكل مثل سقوف الاواوين الاخرى فى المستنصرية والمرجانية ٠ وهو مزين بزخارف تعلو عن الارض ثلاثة أمتار ونصف المتر ٠ والقسم المزخرف من الجدران يبرز عن أقسام الجدران السفلى على هيأة افريز جميل ٠ ان هذا الايوان وايوان المرجانية وأواوين المستنصرية بهيأتهـا وارتفاعها توازى ارتفـاع الطابقين ، وتتشابه كلها فى حجومها ٠ ويبلغ سمك هذا الايوان أكثر من ٩ أمتار وطوله ثمانية أمتار ونصف المتر وعرضه ٥ أمتار ٠ وعلى طرفى الايوان تقـع بيوت الطلبـة فى الطابقين كما هو الحـال فى المدرسـتين : المستنصرية والمرجانية ٠

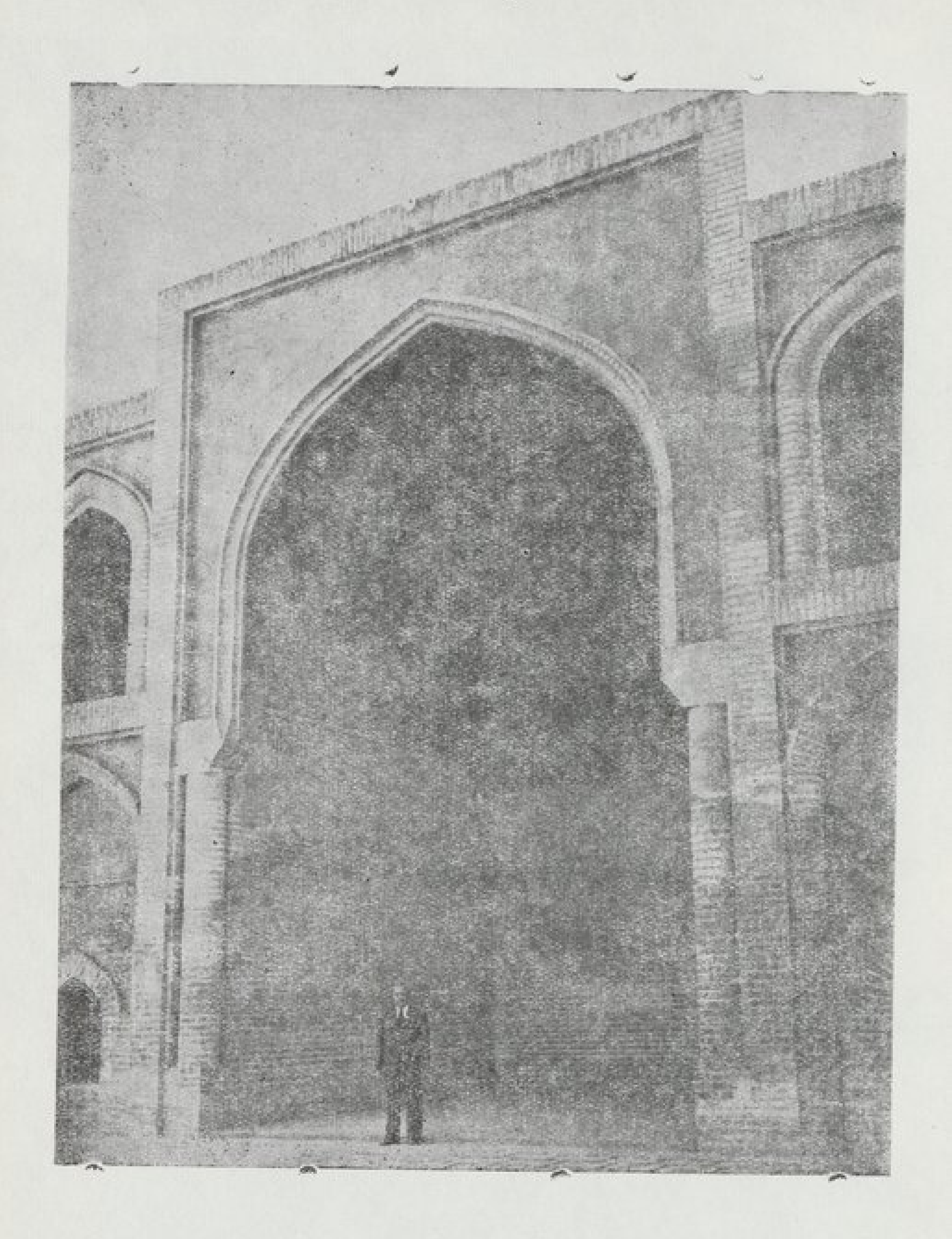
اللوح (١٠)



اللوح (١١)

احد أواوين المستنصرية وهو مفتوح على الصحن من جهته الامامية ·
وهو يشبه ايوان المرجانية ، وايوان الشرابية من حيث الشكل ، والسعة ،
والارتفاع ، وتنوع الزخرفة ، وارتفاع هذه الزخرفة عن الارض · ويبلغ
ارتفاع الاواوين أكثر من تسعة أمتار وعرضها يزيد قليلا على ستة أمتار
وطولها أكثر من سبعة أمتـار · وهى كايوان الشرابية زخرفت بطـون
عقودها ، وصدورها المطلة على الصحن بزخارف آجرية جميلة ومتنوعة ·
وعلى طرفى الاواوين تقع بيوت الطلبة فى الطابقين من هذه المدارس الثلاث ·

اللوح (١١)

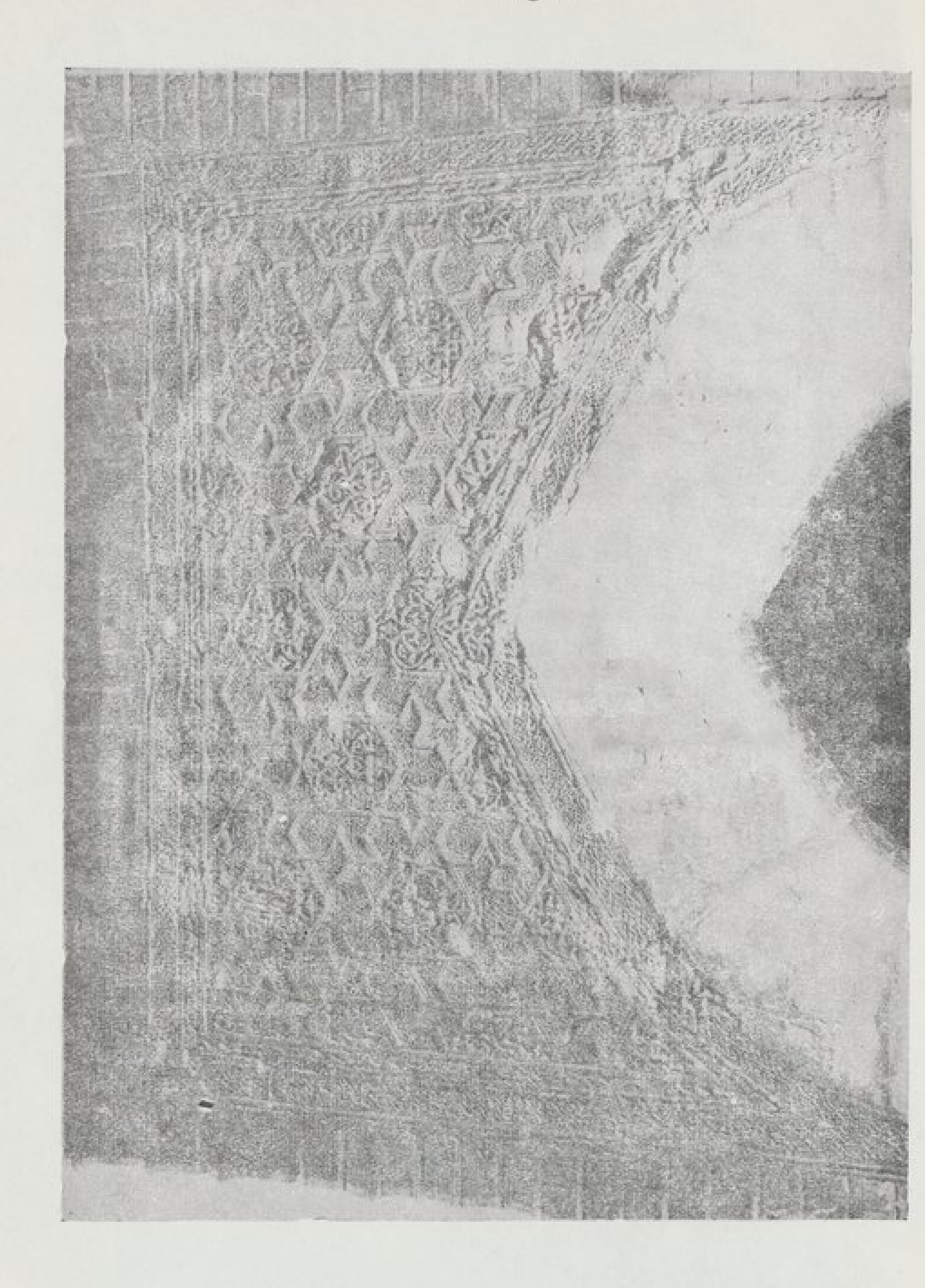


اللوح (١٢)

غرفة الناظر فى المدرسة الشرابية

يلاحظ وجود زخارف آجرية فى أعلى القاعة (ق ١) من مخطط الطابق الاول من المدرسة الشرابية (اللوح ١ و٣) وهذه القاعة هى أول قاعة من قاعات المدرسة الشرابية ، مزخرف رتاجها بزخارف آجرية جميلة جدا وهى القاعة الوحيدة التى زخرف رتاجها بين خمس قاعات كبيرة تقع على دهليز المدرسة ، وهى تشبه من حيث شكل التخطيط ، وزخرفة رتاجها القاعة (هـ) احدى القاعات الكبرى التى تقع على دهليز المستنصرية . وهذه أيضا هى القاعة الوحيدة التى زخرف رتاجها بين سبع قاعات كبرى فى المستنصرية بزخارف آجرية مما يدل على ان القاعتين كانتا تستعملان لغرض واحد . ويلاحظ ان كلا منهما تطل على مجاز يفضى الى رحبة المدرسة (راجع اللوحين ١ و٦) .

اللوح (١٢)



اللوح (١٣)

غرفة الناظر فى المدرسة المستنصرية

ان القاعة (هـ) فى الطابق الاول من المستنصرية (المخطط ٦) تؤلف احدى القاعات الـكائنة فى دهليز المستنصرية ، وتواجه المجاز الذى يتصل بصحن المدرسة ، وهذه هى القاعة الوحيدة التى زخرف رتاجها بين سبع قاعات كبرى • مما يدل على انها كانت للناظر فى مصالح المستنصرية • وهى تشبه القاعة (ق ١) فى المدرسة الشرابية (المخطط ٢) من حيث التخطيط ، وزخرفة الرتاج • مما يفيد ان القاعتين فى المدرستين المذكورتين كانتا تستعملان لغرض واحد ، ويشير بوضوح الى ان (المخطط ١) كان مدرسة وليس قصرا ولا دارا •

اللوح (١٣)



اللوح (١٤)

زخارف السقف فى مدخل المدرسة الشرابية وهى تتكون من سلاسل آجرية مزخرفة على هياة صلبان معقوفة وهى بذلك كزخارف المستنصرية غير ان العقفة فى صلبان المستنصرية قائمة الزاوية ، وفى المدرسة الشرابية حادتها • وتحتضن هذه الصلبان المعقوفة أشكالا هندسية مزخرفة بشتى أنواع الزخرفة كما تحتضن نجوما مزخرفة أيضا •

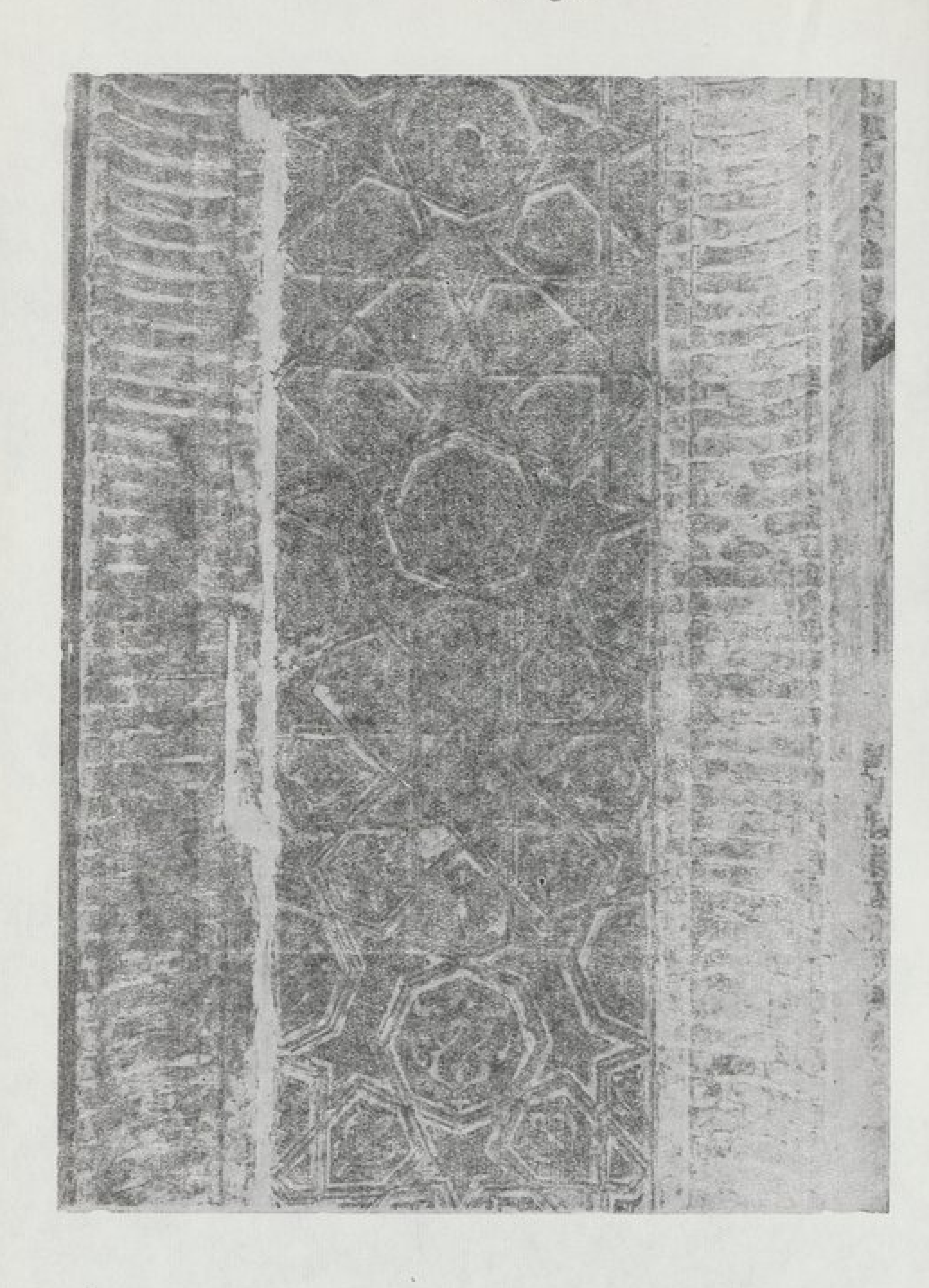
اللوح (١٤)



اللوح (١٥)

زخارف آجرية غاية فى الدقة والاتقـان تكون جانبـا من الزخارف السقفية فى مجاز المدرسة الشرابية ٠ وتظهر فيها صلبان متقاطعة تؤلف نجوما مخمسة واخرى مثمنة مختلفة الزخارف والمناظر ، وهى تشبه ما فى المرجانيـة والمستنصرية من زخارف آجـرية من حيث الشكل والتنـوع والاتقان ٠

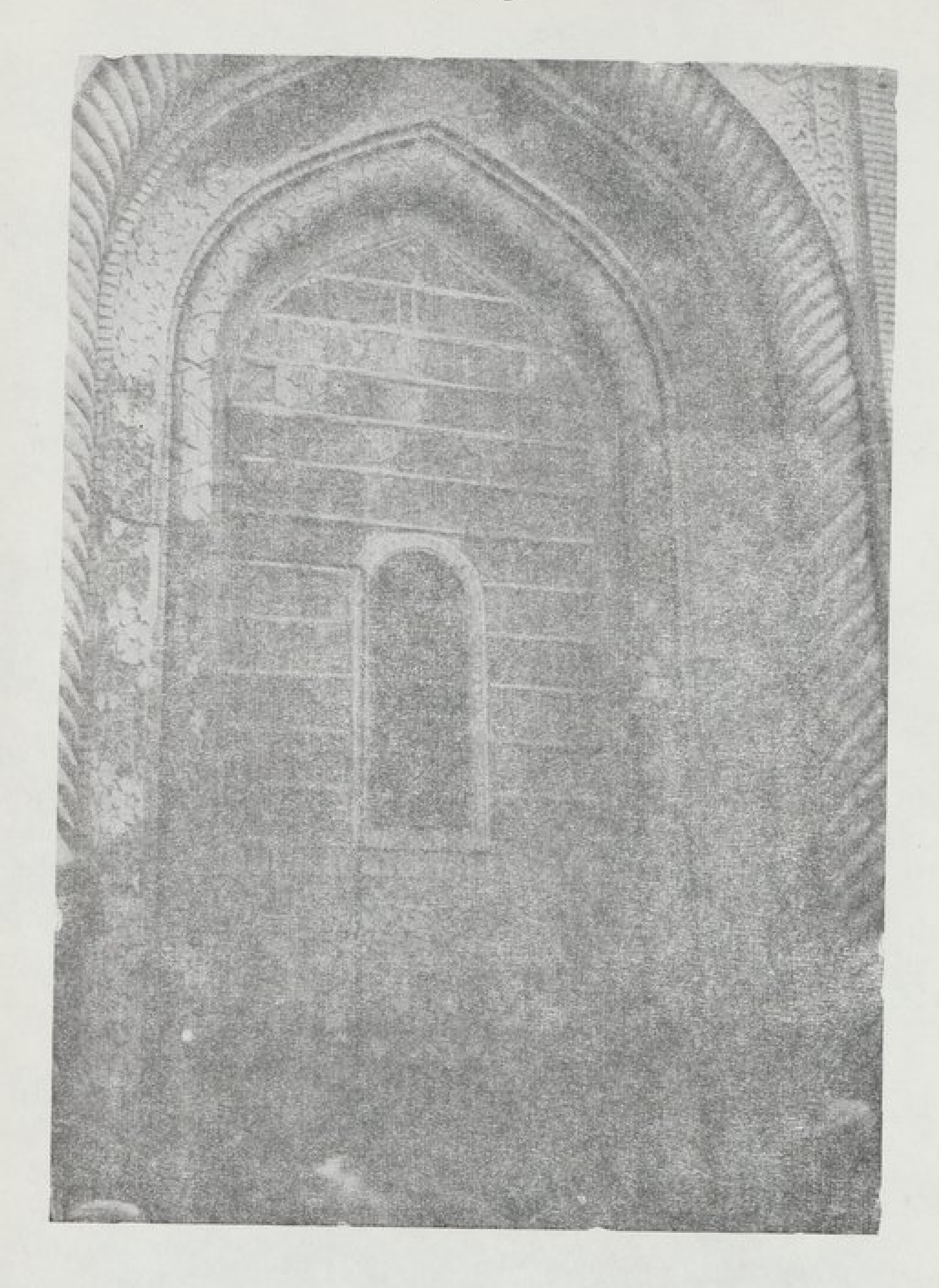
اللوح (١٥)



اللوح (١٦)

الباب الرئيس فى المدرسة المرجانية · وهو يشبه باب المستنصرية ويقاربه من حيث الارتفاع ، والسعة ، والزخرفة والـكتابة الآجرية · وفوقه كتابة مزخرفة · كمـا زخرف أعلاه ، وجانبـاه وجبهته المطلة على رحبـة المدرسة · وهو كباب المستنصرية ، والشرابية يفضى الى مجاز أنيق كمجاز الشرابية · والمدخل يؤدى الى الرحبة والى بعض الحجرات والردهات ·

اللوح (١٦)



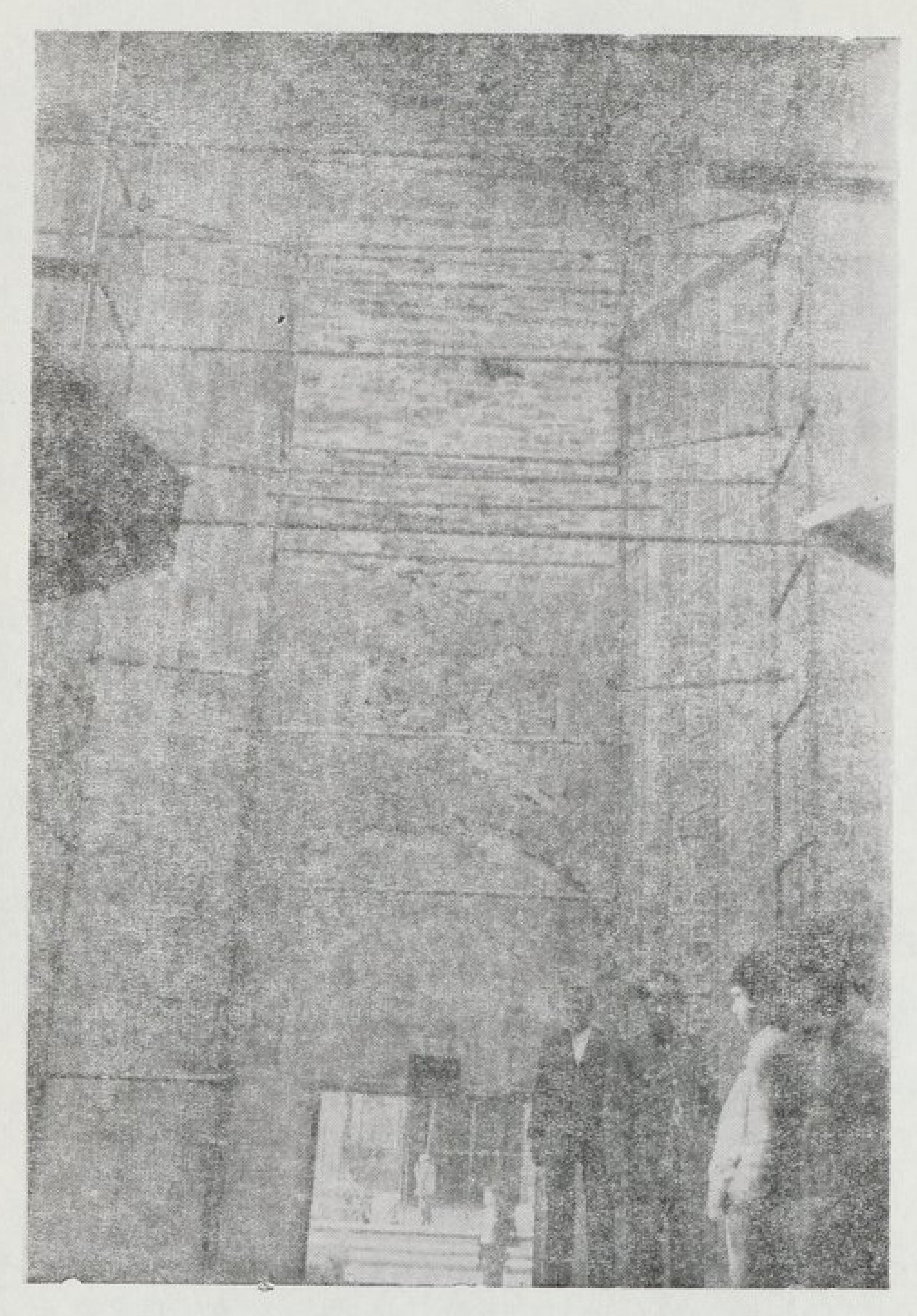
اللوح (١٧)

الباب الرئيس فى المستنصرية ، وهو مدخل رفيع مزخرف أعلاه ، وجانباه من الخارج بزخارف آجرية رائعة · وعقد المجاز الذى يفضى اليه منه كأنه أحد أواوين المدرسة وهو مزخرف من باطنه ومن جبهته المطلة على رحبة المدرسة · وكانت على هذا المدخل كتابة آجرية بالخط النسخى ، محشاة بزخارف آجرية فنية فى منتهى الجمال · والعمل جار على اعادة هذه الكتابة الى مكانها فوق الباب · والمدخل يفضي الى الرحبة مباشرة · وزخارفه الملتفة على العمودين المندمجين فى ركنى المدخل تشبه السلاسل الزخرفية التى تزين السقف فى مجاز المدرسة الشرابية · ويلاحظ في الزخارف التى بين الكتابة التى فى أعلى الباب وبين عقد المدخل آية قرآنية محفورة فى الآجر على الشكل التالى :

جنات عدن　　　　　　الابواب ·

مفتحة لهم

اللوح (١٧)



اللوح (١٨)

أعلى المحراب فى المدرسة المرجانية . وهو مزخرف بالزخارف الآجرية المختلفة . وفوق الزخارف كتابات نسخية جميلة ثبتت فيها الوقفية من عهد مرجان مؤسس المدرسة المرجانية . والكتابة محوطة بالزخارف الآجرية التى لا تتناهى . ولعل مسجدى المدرستين الشرابية والمستنصرية كانا غنيين أيضا بمثل هذه الزخارف قياسا على ما نراه من الثروة الزخرفية فى أواوينهما والجبهات المطلة على صحنيهما .

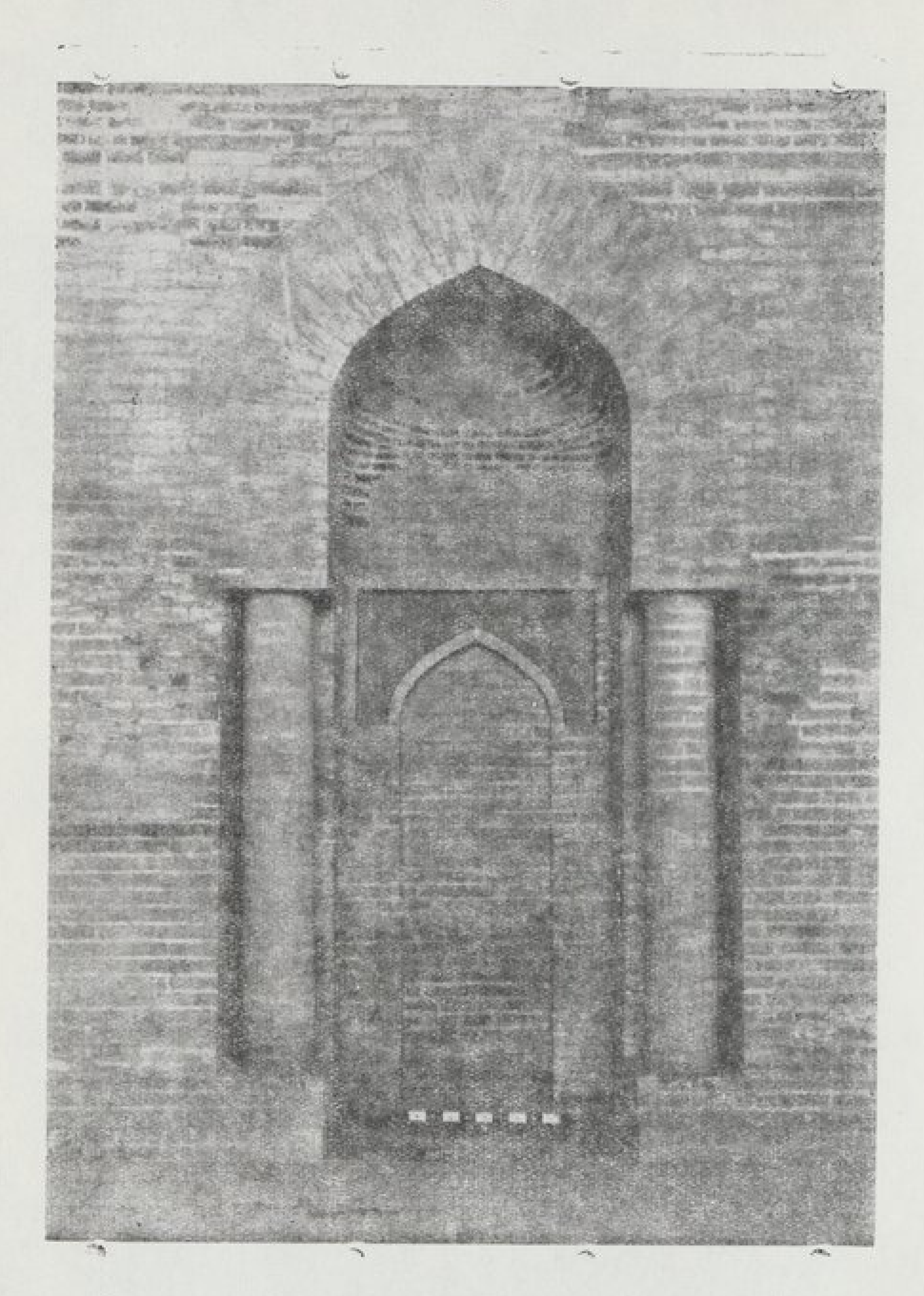
اللوح (١٨)



اللوح (١٩)

محراب مسجد المستنصرية · وهو خال من الزخارف · ولعل استعمال المدرسة للاغراض العسكرية وخزن البضائع التجارية عدة قرون أديا الى تخريب كثير من معالمها ومنها المسجد الذى طمست زخارفه · ولو لم تستر أكثر الزخارف فى أواوين المدرسة بطبقة من الجص لاصابها التلف والدمار أيضا · ويلاحظ ان الزخارف الآجرية الرائعة فى المرجانية انما حفظت بفضل تبييضها بطبقة من الجص أيضا · ولما كانت العناية بمصليات المدارس بالغة كما يشاهد ذلك فى مسجد المرجانية فانه ينبغى ان يكون مسجد المستنصرية أكثر غنى بزخارفه ونقوشه لاسيما وان المؤرخين يجمعون على ان المستنصرية لم يبن لها نظير فى الدنيا · وربما كانت فوق هذا المحراب زخارف وكتابات دونت فيها وقفية المستنصر على غرار ما هو موجود فوق محراب المرجانية بالاضافة الى الكتابات الكثيرة التى كانت على جدرانها الخارجية · ويظهر ان الخسفة الواسعة التى تحيط بالمحراب اليوم كانت مملوءة بالكتابة والزخارف البارزة عن الجدران بروزا قليلا · ومثل ذلك يمكن ان يقال عن مسجد المدرسة الشرابية الذى لم يبق منه الا اسسه ·

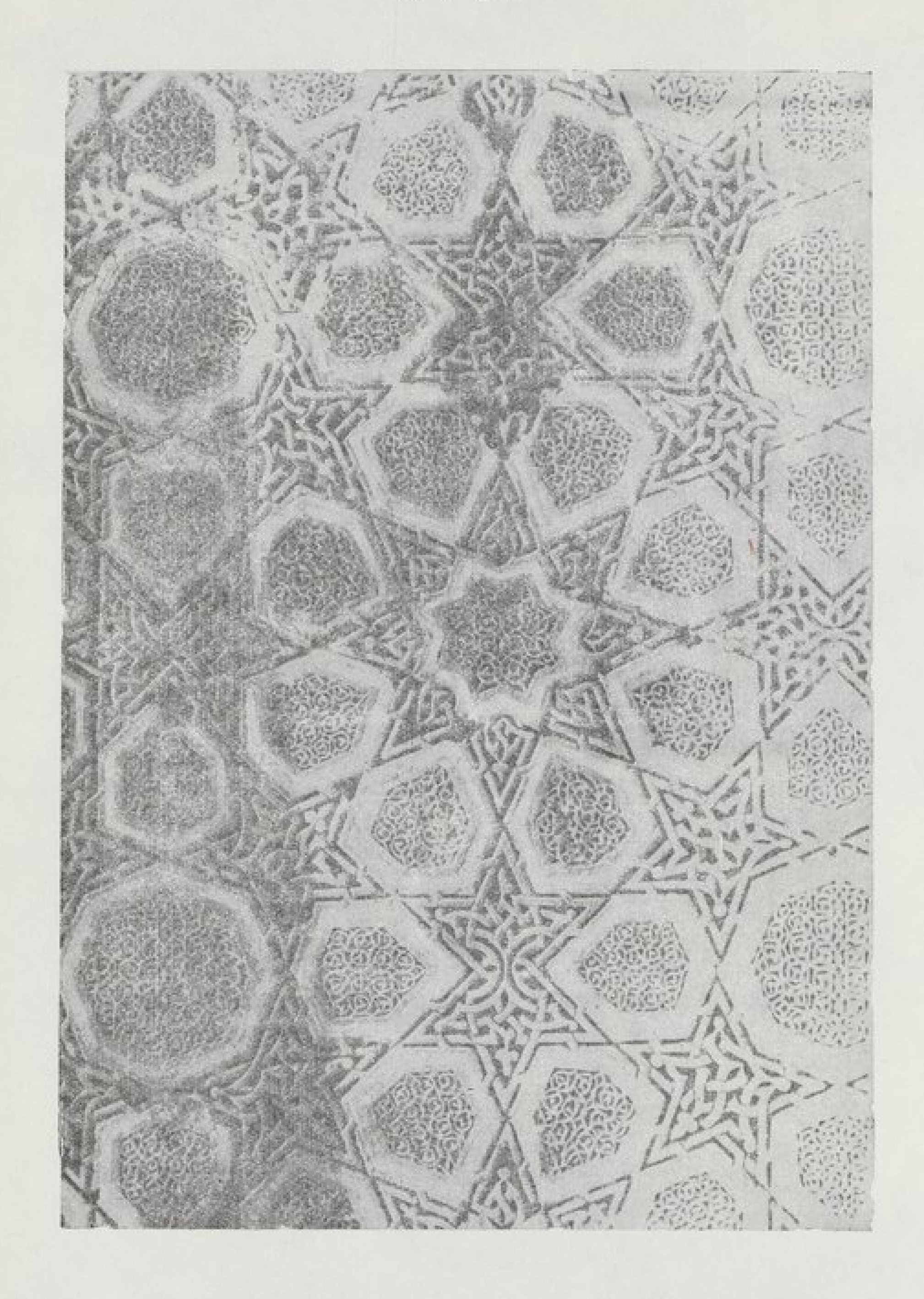
اللوح (١٩)



اللوح (٢٠)

تفاصيل الزخارف الآجرية في المدرسة الشرابية حيث تظهر النجمة المخمسة ، والمثمنة بأشكالهما المختلفة وزخارفهما المتنوعة ٠ وهذه الزخارف تشبه زخارف المدرستين : المستنصرية والمرجانية شبها تاما ٠ مما يدل على ان المدارس كانت تبنى على طراز معين ومخططات متشابهة ٠

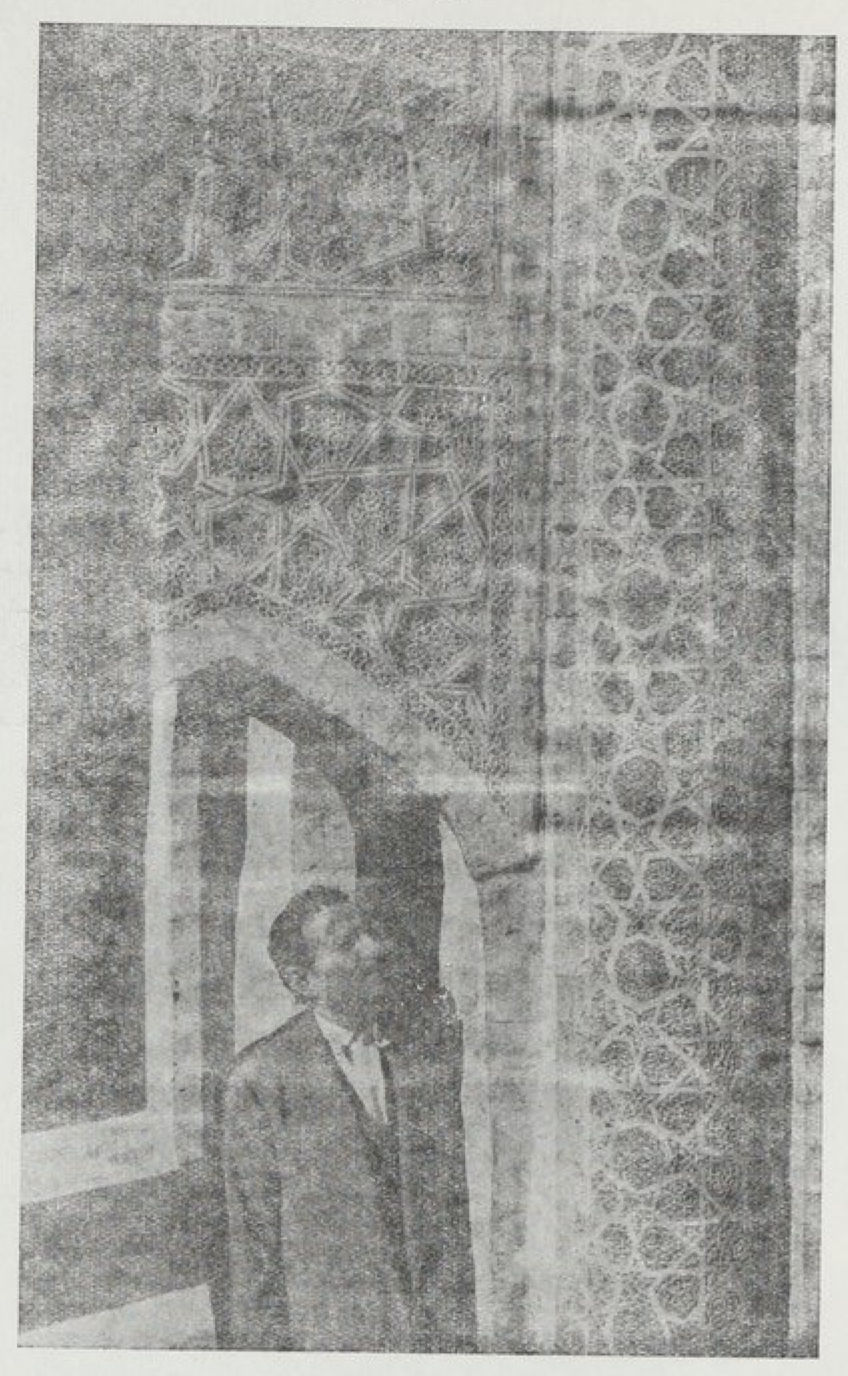
اللوح (٢٠)



اللوح (٢١)

نماذج من الزخارف الآجرية فى المدرسة الشرابية تتكون من سلسلتين من النجوم الخماسية المتصلة بنجوم ثمانية · وكلها مزخرفة أيضا · وهى تشبه تمام الشبه زخارف المدرستين : المرجانية ، والمستنصرية من حيث الشكل ، والدقة ، والاتقان ·

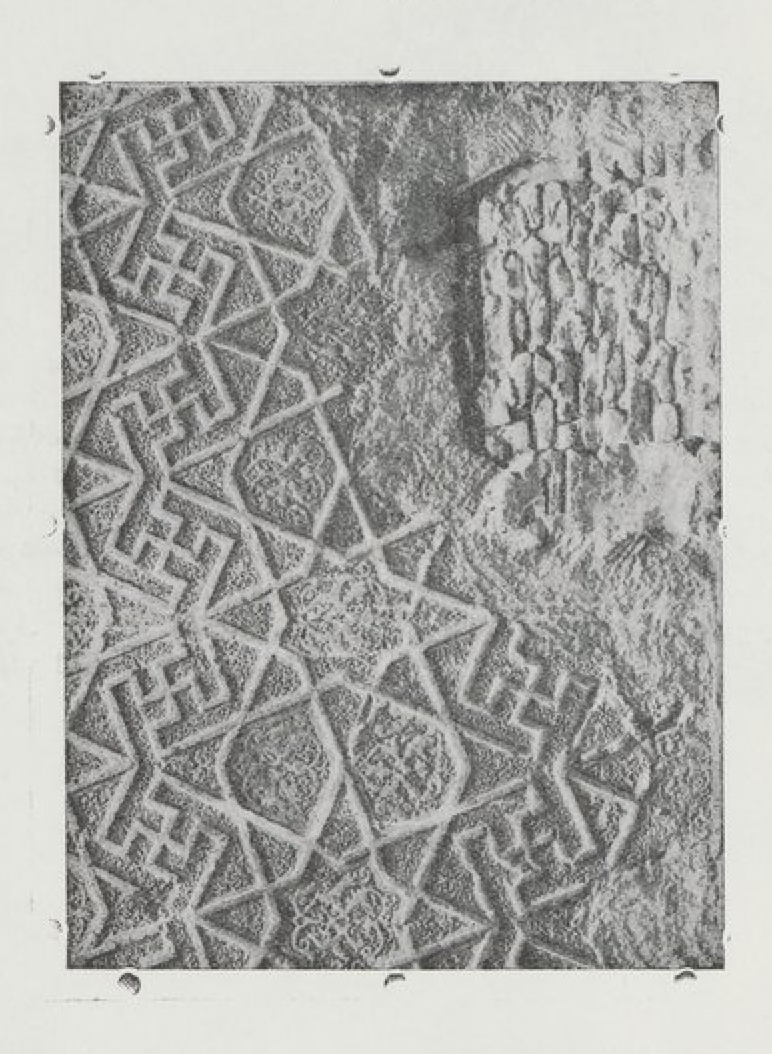
اللوح (٢١)



اللوح (٢٢)

زخارف آجرية هندسية وزهرية فى ايوان دار القـرآن المستنصرية ويشاهد فيها الصليب المعقوف وهو من مزايا الزخرفة العربية فى العراق حتى اليوم فى المساجد ، والمآذن ، والقصور ، والدور ، والاسواق ٠ كما يشاهد فى هـذا الايوان زخارف على هيـأة نجوم مختلفة الاشكال تماثل زخارف المدرستين : الشرابية والمرجانية تماما ٠ وقد اعيد ترميم هذا الايوان فظهر شاهقا كأواوين مدرسة الفقه المستنصرية ، ولا يزال العمل قائما فيه لازالة التشويهات التى اصابته عندما كان دكانا « للكاهى » وللسراجة ٠

اللوح (٢٢)



اللوح (٢٣)

دهليز المدرسة الشرابية ٠ والدهليز من مزايا الريازة العربية فى العراق ٠ ويظهر انه كان يستعمل فاصلا بين قاعات الدراسة أو ردهات دور الكتب وبين صحون المدارس ورحابها حيث تكثر ضوضاء الطلاب ٠ وهو يشبه تمام الشبه دهليز المستنصرية من حيث الارتفاع والسعة ، ووقوع القاعات الكبرى فى حده الاسفل ٠ وطول الدهليز ٢٦ مترا و٧٠ سنتمترا ٠ وعرضه متر و٢٨ سنتمترا وارتفاعه تسعة أمتار وعشرون سنتمترا وهو يتصل برحبة المدرسة بمجازين متوازيين يقعان على طرفيه ويشكلان معه الحرف U وهما بذلك يشبهان تماما المجازين اللذين يقعان على طرفى دهليز المستنصرية ٠ (راجع المخططين ٥ و٦) ٠

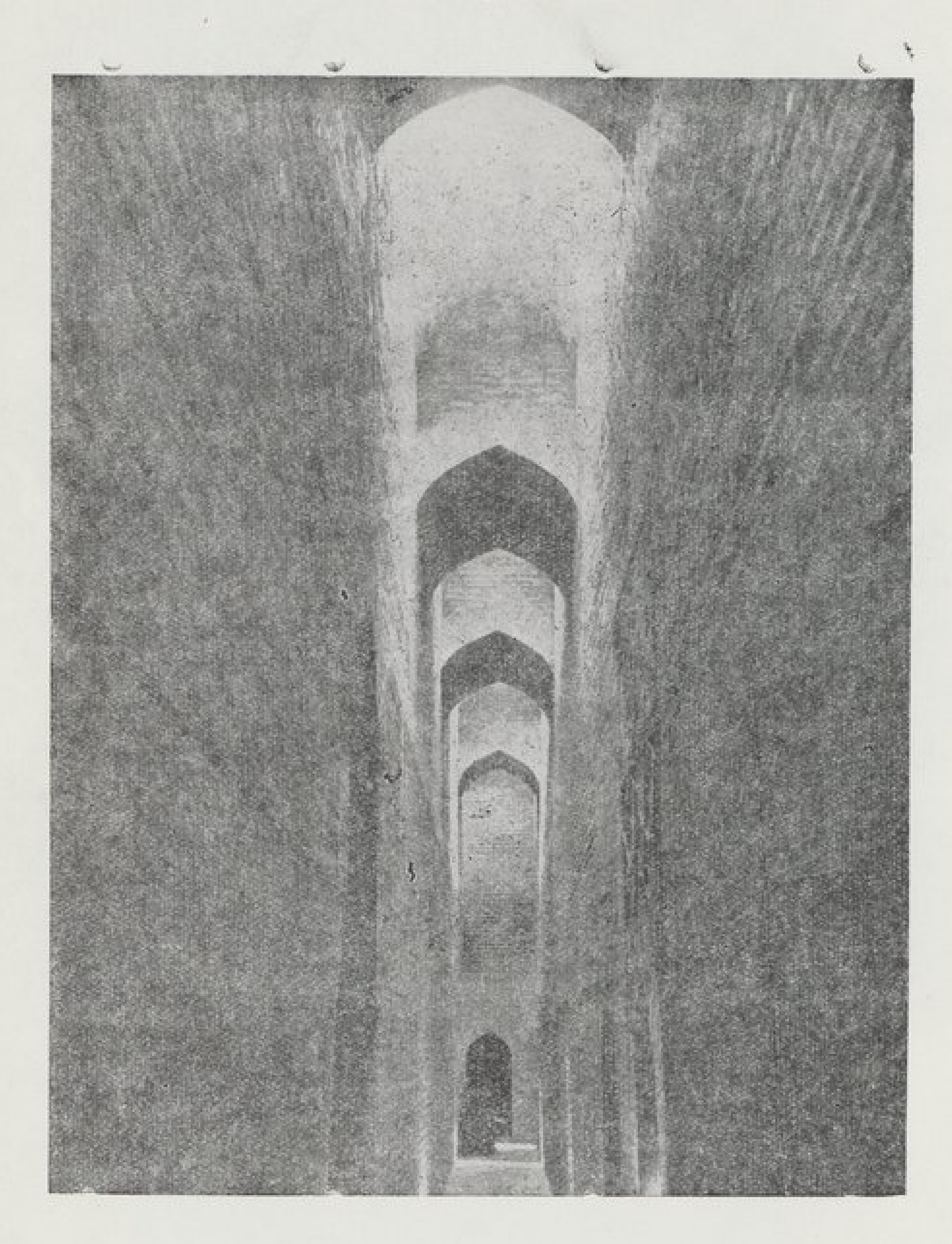
اللوح (٢٣)



اللوح (٢٤)

دهليز المستنصرية وهو يشبه تمام الشبه دهليز المدرسة الشرابية وهو مثله يتكون من عدد من الكوى السقفية والعقود الصغيرة فى أعلاه . وكلاهما بارتفاع طابقى البناء ، وعلى كل منهما تقع القاعات الكبرى التى كانت تتخذ فيما يظهر للدراسة ، ولخزن الكتب ، والمطالعة ، والاستنساخ ، ودراسة الحديث . وطول دهليز المستنصرية ٣٤ مترا و٤٠ سنتمترا . وعرضه متر وأربعون سنتمترا . وارتفاعه تسعة أمتار . وهو يتصل برحبة المدرسة بمجازين متوازيين يقعان على طرفيه ويشكلان معه الحرف U وهما بذلك يشبهان تماما المجازين الذين يقعان على طرفى دهليز الشرابية . راجع اللوح ٦ .

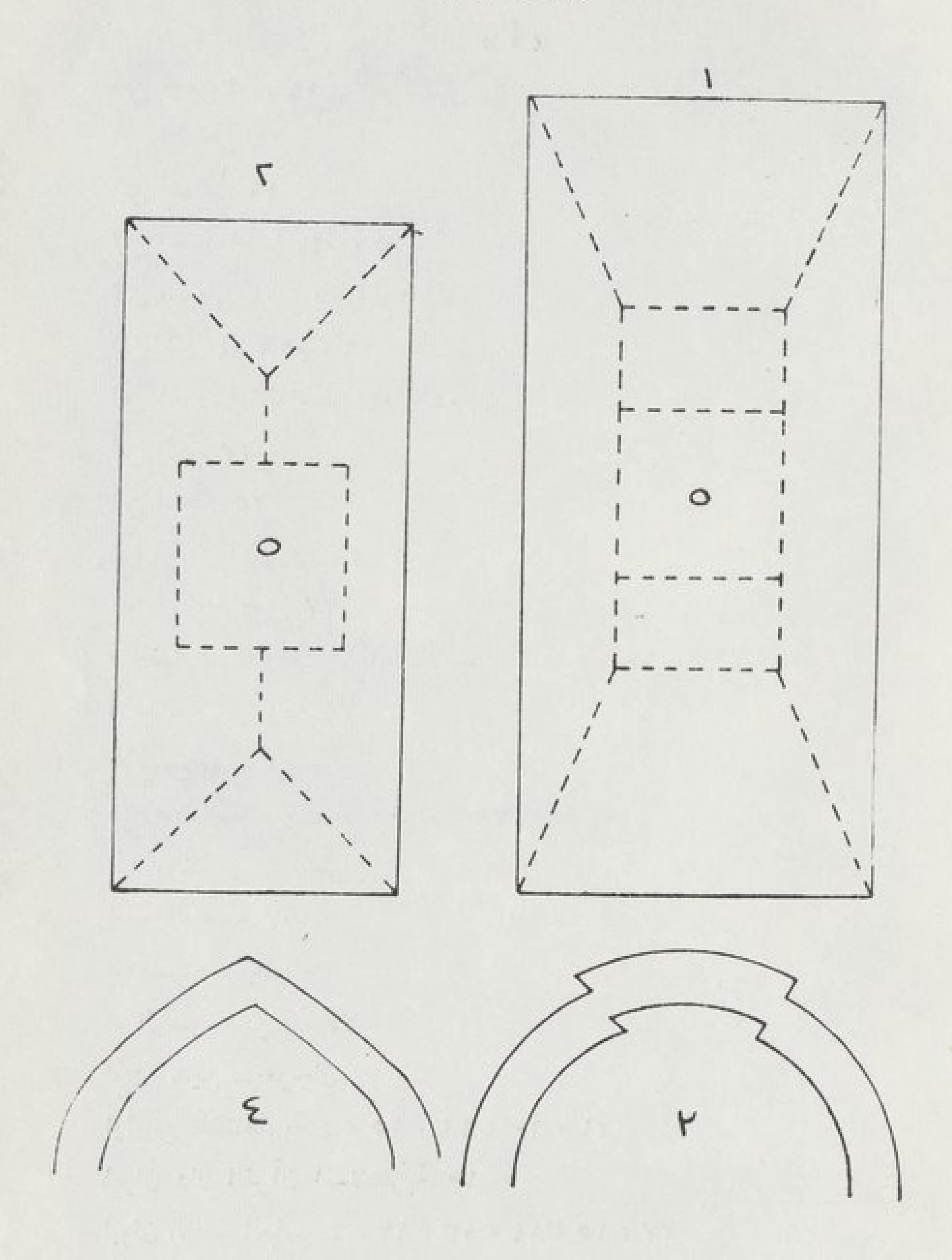
اللوح (٢٤)



المخطط (٢٥)

طراز التسقيف فى المدرسة الشرابية والمستنصرية والمرجانية واحد فى الرداه الكبرى التى اتخذت للدراسة أو لخزن الكتب وهى اما على الطراز المرقم (١) وهو المعروف بـ « المدنى » أو على الطراز المرقم (٢) وهو المعروف بـ « الدور » ويلاحظ فى هذه القاعات وجود كوى سقفية للنور والتهوية اشير اليها بالرقم (٥) كما يلاحظ ان سقف الاواوين فى المدارس الثلاث وسقوف المجازات والدهاليز كلها من النوع المعروف بـ « الدور » ٠ واما عقود الابواب فتجمع بين الشكلين بوجه عام لان كل باب يتكون من عقد خارجى مدبب كما فى الرقم (٤) وهو المعروف بـ « الدور » ومن عقد داخلى كما فى الرقم (٣) وهو المعروف بـ « المدنى » ٠

المخطط (٢٥)



فهرس عام للاشخاص ، والامكنة ، والـكتب

«أ»

« ف »

« ق »

« ك »

« م »

الفهرس

كتب ورسائل للمؤلف

١ ـ المطالعة العربية ٣ أجزاء بمشاركة بعض الاساتذة • بغداد ـ مطبعة النجاح ١٩٣٤

٢ ـ المنتخبات الادبية • بغداد ـ مطبعة الكرخ ١٩٣٥

٣ ـ المدرسة المستنصرية • بغداد ـ مطبعة دنكور الحديثة ١٩٣٥

٤ ـ تاريخ العرب • بمشاركة بعض الاساتذة • بغداد ١٩٤٩

٥ ـ موجز تاريخ الحضارة العربية بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز الدوري • بغداد ١٩٤٩

٦ ـ مقدمة فى تاريخ المستنصرية ، وعلمائها • بغداد ـ مطبعة العانى ١٩٥٨

٧ ـ علماء المستنصرية • بغداد ـ مطبعة العانى ١٩٥٩

٨ ـ تاريخ علماء المستنصرية • بغداد ـ مطبعة العانى ١٩٥٩

٩ ـ المدخل فى تاريخ الحضارة العربية • بغداد ـ مطبعة العانى ١٩٦٠

١٠ـ المدرسة الشرابية • بغداد ـ مطبعة العانى ١٩٦١

THE SHARABIYA SCHOOL
or
The Abbasid Palace in the Baghdad Citadel

by

PROF. NAJI MAROUF

Professor of Islamic History and Head of the Department of History

at the College of Arts. Baghdad University

BAGHDAD, AL-ANI PRESS

1380 *A - H*

1961 *A - D*

THE SHARABIYA SCHOOL
or
The Abbasid Palace in the Baghdad Citadel

by

PROF. NAJI MAROUF

Professor of Islamic History and Head of the Department of History

at the College of Arts. Baghdad University

BAGHDAD, AL-ANI PRESS

1380 *A - H*

1961 *A - D*